وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

الغزو الإيبيري للمغرب الأقصى

خلال القرنين (9- 10 هـ/15- 16م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر تاريخ حديث ومعاصر

إعداد الطالبة: صالح بطاش زهية

إشراف الأستاذ: دكتور بوسليم

مشرف مساعد: أ/ بن قومار

اللجنة المناقشة

أ.د/إبراهيم بحاز ..... رئيسا

د/ صالح بوساليم ..... مشرفا و مقررا

أ/ جلول بن قومار ..... مشرفا و مساعدا

أ/ عمر بن قايد ..... عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 1433-1434هـ/2012-2013م

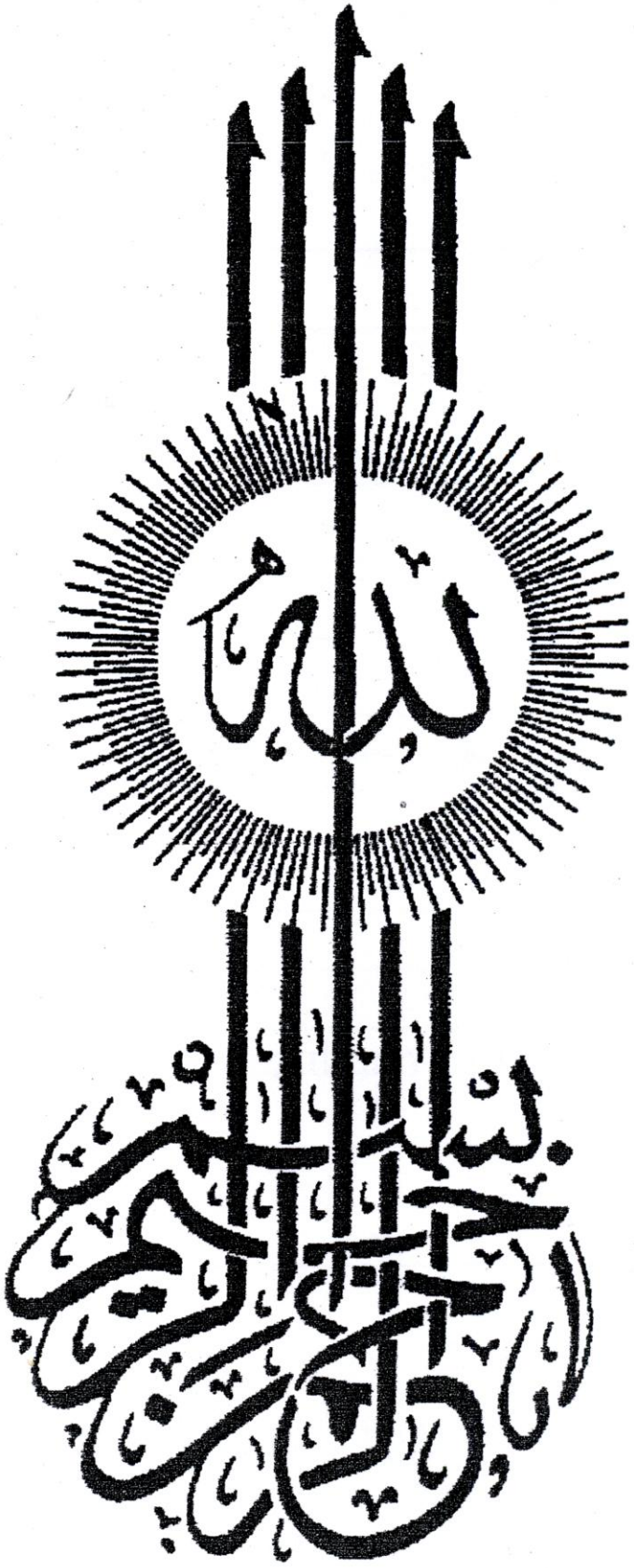
بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــــــداء

إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله و أطال في عمرهما

إلى أخي و أخواتي و عمي و أخوالي و أخص بالذكر خالي عبيد زرارة له

الفضل العظيم بعد الله في إتمام و إنجاز هذه المذكرة

وإلى كل من كان معي طوال انجاز هذا العمل

أهدي هذا الجهد

شـكـر و تقـديـر

بسم الله والحمد لله على نعمه أن أنعمنا على شكره، فلي الشرف أن أشكر أستاذي المشرف الدكتور "أبو سليم صالح" الذي شرفي برعاية هذا العمل من خلال نصائحه القيمة في سبيل النيل القيم من ثمار هذا العمل ،فكان نعم المرشد لي بنصائحه الثمينة وملاحظاته القيمة ،وتشجيعه المستمر لي .

- كما أتقدم بشكري الخالص إلي المشرف المساعد "جلول بن قومار" الذي لم يبخل عليّ بتوجهاته القيّمة والمفيدة، وكان السند الذي حرص على أن يكون في أبهى وأوضح صورة.

لا يزال في جعبتي الكثير لشكر كل من تفضلوا عليّ ولو بكلمة وكانوا عونا لي ولغيري، كل من الأساتذة الكرام الذين شرفني الأخذ من منابع معارفهم في كل مراحل تكويني الجامعي سواء مرحلة الليسانس أومرحلة الماستر.

الطالبة :بطاش زهية

قائمة المختصرات

بالعربية:

الرمز	المعنى
د. ت	بدون تاريخ
ج	جزء
ص	صفحة
ص ص	صفحات متتالية
د . ط	دون طبعة
م د ح م	مجلة دعوة الحق المغربية

بالأجنبية:

Op.cit	Presideent référense
P	Page
R.A	Revue Africaine
S.D	Sans Date
T	Tome

مقدمة

عرفت منطقة حوض البحر المتوسط الغربي خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين تطورات وتغيرات هامة غيرت مجرى الأحداث التاريخية فخلال هذين القرنين كانت دول غرب أوروبا قد تخلصت من مرحلة الظلمات التي شهدتها في العصور الوسطى، ودخلت مرحلة العصور الحديثة، حاملة معها جملة من الأحداث الضخمة والتطورات الكبرى ، مشكلة لنفسها إمبراطوريات قوية تسعى إلى مد نفوذها على حساب مناطق أضعف منها والمتمثلة في دول المغرب الإسلامي الذي كان يعيش حالة من التفكك والتجزئة خلال القرن **9هـ / 15م**، وبالأخص المغرب الأقصى التي حرص بالرغم من الضعف ، الدفاع بكل ما أوتي من قوة للحفاظ على الأراضي المغربية، ولكن ما إن حل القرن السادس عشر الميلادي حتى اختلف الوضع وبدأت معالم القوة تظهر على يد الأشراف السعديين، والتي سأذكر دورها الفعال في ردع الغزوالإيبيري على الثغور المغربية في دراستي .

دوافع اختيار الموضوع : أما مادفعني لإختيار هذا الموضوع :

-أن الغزو الإيبيري على المغرب الأقصى يعد منعرج حاسم في تاريخ كلا من منطقتي الحوض الغربي للمتوسط الضفة الشمالية إسبانيا والبرتغال، والضفة الجنوبية المغرب الأقصى.

-كما أن القرنين اللذ ين ذكرتهما آنفا حافلان بالأحداث الحاسمة والمثيرة للإهتمام والتي تثير شغف الباحث في معرفة حيثياتها وإنعكاساتها.

-ميلي إلى هذا النوع من الدراسات التاريخية ، ورغبتي في معرفة أهم المعارك الحاسمة.

-كما أن معظم الدراسات التاريخية تناولت الغزو الأيبيري على المغرب الإسلامي بصفة عامة، لهذا أردت التمييز بعض الشيء في إنعكاس ذلك المغرب الأقصى، لأن دراسة المغرب الإسلامي يتطلب من الباحث ذكر الأحداث بصفة عامة، لهذا أردت التدقيق ووصف الأحداث بالتفصيل.

ـ إضافة إلى أن معظم الدراسات التاريخية في الجزائر ، تتناول الغزو المسيحي على الجزائر وقليلة هي الدراسات الجزائرية التي تتحدث عن المغرب الأقصى بصفة خاصة .

– الإطار الزماني والمكاني من هذه الدراسة :

وقد حددت في دراستي لهذا الموضوع الإطار الزماني الممتد من سنة (803 ه/ 1400م) وهو تاريخ إحتلال إسبانيا لتطوان كبداية للغزو الإيبيري، وإلى غاية (986هـ/1578م) تاريخ معركة وادي المخازن، وبداية تقلص نفوذ الغزو البرتغالي، أما الإطار المكاني والمتمثل في الحوض الغربي للمتوسط والذي يشمل الضفة الشمالية أي إسبانيا والبرتغال، والضفة الجنوبية أي المغرب الأقصى، لأنها منطقة إحتدام الصراع و الصدام والصراع بين الطرفين، إمبراطورية البرتغال ، وإمبراطورية إسبانيا الكاثوليكية، ومنطقة المغرب الأقصى التي كانت تعد من أخطر دول المغرب الإسلامي التي تهدد دول المسيحيةخاصة إسبانياو البرتغال .

إشكالية الدراسة : أما الإشكالية المطروحة في هذه الدراسة فهي متعلقة :

الغزو الأيبيري للمغرب الأقصى خلال القرنيين 10/9ه-16/15م؟وتندرج ضمنها الإشكاليات الأتية :

- ماهي الأوضاع السياسية لكل من إسبانيا والبرتغال ؟ والمغرب الأقصى نهاية القرن 15 م وخلال القرن 16م؟ ومظاهرها ومميزاتها ؟
- ماهي أهم المراكز التي استحوذ عليها الغزو الأيبيري بداية بالغزو البرتغالي في القرن الخامس عشر الميلادي وخلال القرن السادس عشر الميلادي ؟ والدور الذي لعبه كل من بني وطاس ؟ وثم من بعدهم السعديين في المقاومة والتصدي للغزو البرتغالي ؟
- ماهو دور الغزو الاسباني بداية من القرن 15م وخلال القرن السادس عشر الميلادي؟ ورد فعل بني وطاس في القرن 15م ؟ والسعديين في القرن 16م ؟.

الهدف من الدراسة :

الخوض في غمار الأحداث التي شهدتها كلا الضفتين في خضم هذا الصراع الذي كان يعد من أهم المراحل التي شهدتها مناطق أوروبا الغربية والمغرب الأقصى على حد سواء .

الدراسات السابقة :

إن هذا الحدث الهام والعظيم والمتمثل في الغزو الأيبيري على المغرب الأقصى، قد لاقى اهتمام الكثير من الباحثين والمؤرخين الأقدمين منهم والمحدثين ، فألفوا في ذلك الكتب والمقالات، وأكثروا في تحليلها وتفصيلها ووصفها، مما دل على عظمة هذا الحدث وأهميته، بل وما تزال الدراسات تكتب في هذا الصدد لما له من أحداث كثيرة قد يغفل البعض عنها، فتحتاج للتحليل والتفصيل أكثر، وما تزال إلى حد الآن تساؤلات وإشكالات حول هذا الغزو، وأذكر من الدراسات التي تعمقت في دراسة مثل هذه المواضيع :

- الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى لـــ: أبي عباس الناصري السلاوي ، حيث تحدث بشكل كبير وواسع عن أوضاع المغرب الأقصى، وعن الغزو البرتغالي والإسباني للثغور المغربية .
- عبد الكريم كريم : المغرب الأقصى في عهد الدولة السعدية، حيث تطرق إلى الغزو البرتغالي في القرن 10 هـــ / 16م.

المنهج المتبع في الدراسة :

أتبعت في دراستي لهذا الموضوع على المنهج التاريخي الوصفي و السردي ، فاستعنت بالأول لتتبع وقائع هذا الحدث التاريخي والأوضاع التي سبقته ، أما المنهج الوصفي السردي، فإستعملته لوصف هذا الغزو ومدى تأثيره على المغرب الأقصى.

الخطة المعتمدة في الدراسة :

إعتمدت في موضوعي هذا على خطة إشتملت على ثلاثة فصول :

الفصل الأول :

وهو الفصل مدخلي تطرقت فيه إلى معرفة لأوضاع العامة للمغرب الأقصى وإسبانيا والبرتغال خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين.

أما الفصل الثاني:

فخصصته للغزو الأيبيري على مدن المغرب الأقصى خلال القرن 9هـ - 15م متضمنا مبحثين الأول متعلق بالغزو البرتغالي وردود أفعال المغاربة، والمبحث الثاني متعلق بالغزو الاسباني إضافة إلى رد فعل المغاربة.

أما الفصل الثالث:

فتحدثت فيه عن النشاط التوسعي الأيبيري في مدن المغرب الأقصى خلال القرن 10هـ/16م متضمنا مبحثين الأول يتناول استفحال الغزو البرتغالي على مدن المغرب الأقصى ودور المغاربة في التصدي للعدوان خلال القرن السادس عشر الميلادي، وفي المبحث الثاني تناولت الصراع الاسباني المغربي خلال القرن السادس عشر الميلادي

نقد المصادر والمراجع الخاصة با لدراسة: ومن بين المصادر التي ساعدتني كثيرا في هذه الدراسة أذكر:

-**وصف إفريقيا** :لـــحسن بن محمد الوزاني الزياني (ليون الإفريقي)، من مواليد غرناطة بتاريخ غير مضبوط يتراوح مابين عامي 849هـ /1489م و900هـ/1495م تعريب عبد الرحمن حميدة، ويعد من أهم المصادر التاريخية للقرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، ولا تختلف استفادتي منه عما استفدته من كتاب مارمول كربخال، حيث اعتمدت عليه في ذكر بعض المدن المغربية، التي وقعت في يد الإحتلال البرتغالي، وكذلك عن وصفه لبعض أوضاع المغرب الأقصى، فلا يمكن لدارسي تاريخ المغرب الإسلامي الإستغناء عن هذا المصدر المهم.

-**إفريقيا** لـــ: لويس كربخال،نقله إلى العربية محمد حجي وآخرون، وقد كان أسيرا إسبانيا في خدمة السعديين، أين عايش الأحداث السياسية في المغرب خاصة الأحداث التي وقعت خلال النصف الأول من القرن السادس عشر، وكان محط إستفادتي منه

في ذكره لأهم الثغور المغربية ووصفها التي تعرضت للغزو البرتغالي، وكذلك ذكره لبعض ردود أفعال المغاربة ضد هذا الغزو.

- **تاريخ الشرفاء** لـــ: دييقو دي طوريس، عربه محمد حجي ومحمد الأخضر، وهو مؤرخ إسباني ولد حوالي 1526م، مكث في المغرب حوالي ثلاثين سنة، فوصف تحركات الشرفاء السعديين ونشاطهم السياسي والعسكري، وانتهى في تأريخه عند وفاة عبدالله الغالب سنة 982هـــ/1574م.
- **مناهل الصفا في مآثر مةالينا الشرفاء** لـــ: أبي فارس عبد العزيز القشتالي ، وهو عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الصنهاجي القشتالي ، أختلف في تاريخ ولادته ، فأحمد بن القاضي جعلها عام 952هـــ ، في حين أن المقري أخر ولادته إلى عام 956هـــ، نشأ بنواحي فاس ، ويعتبر المؤرخ الرسمي للدولة السعدية.
- **تاريخ الدولة السعدية التا مكدراتية** لـــ: مؤلف مجهول ، ويرجح أنه من بقايا الوطاسيين، نشره جورج كولان سنة 1934م، كما قدمه وحققه عبد الرحيم بنحادة سنة 1994م

أما عن المراجع التي ساعدتني بشكل كبير في الإلمام بالموضوع أذكر منها :

- **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي** لـــ: عبد الله محمد بن أحمد الأفراني الملقب بالصغير، وهو مؤرخ مغربيي ومن مصنفي التراجم ،أرخ للدولة السعدية في المغرب، وهذا الكتاب من أهم المراجع وأوفاها عن تاريخ الشرفاء السعديين.
- **الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى** لـــ:أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، ويحتوي هذا الكتاب على تسعة أجزاء ، حيث اهتم بذكر تاريخ المغرب الأقصى من أول الفتح إلى العصر العلوي، وقد اعتمدت على جزأيه الثاني والخامس الذين خصصهما للدولة المرينية والسعدية.
- **التاريخ الدبلوماسي للمغرب** لـــ: عبد الهادي التازي في عشر مجلدات، وقد إعتمدت على المجلدين السابع الذي خصصه للوطاسيين ، والمجلد الثامن المخصص لعلاقات السعديين حيث تناول فيه سياستهم الخارجية ، خاصة مع البرتغال وإسبانيا.

-**المغرب عبر التاريخ** لـــ: إبراهيم حركات ، إستفدت منه كثيرا خاصة فيما يخص الفصل المدخلي لوصف الأوضاع في المغرب الأقصى.

المراجع الأجنبية :

-Fernande Braudel: **Méditerrannée et le monde méditrrannée a lépouque de philie**, 2t, 2émé édition, librairie celui, Paris, 1966, **t2**, p19.

-Hnri .De Grammont: **Histoire D'lger sous la dominatoin turque** (1515-1830) ,Ernest leroux Editeur, Paris,1887, P5.

-Diego de torres: **Relatoin de l'origine et Succés de chérife**, Paris,1936, P12.

الصعوبات المعترضة:

لابد للباحث أن يواجه صعوبات تعرقل بحثه، بل إن حياة الإنسان كلها صعوبات ولكن هذه الصعوبات تختلف من بحث لآخر، خاصة إذا كان الباحث يريد الخروج بنتائج مرضية وموضوعية، فذلك سيكون أصعب، وهذا ما وجدته في دراستي فبالرغم من شمولية الموضوع إلا أن هذا صعب الأمر أكثر ، كما أن القارئ للعنوان من الوهلة الأولى أنه موضوع سهل وأن مادته سهلة ومتوفرة، إلا أن هذا يشكل صعوبة في حد ذاته فقد زاد تشتتي بين العديد من الآراء والأفكار.

صعوبة التعامل مع المصادر والمراجع الأجنبية خاصة المصادر المكتوبة باللغة الإسبانية والبرتغالية لعدم مقدرتي على الحصول عليها أولا، وإن وجدت فتكمن الصعوبة في ترجمتها، لذلك إقتصرت على بعض المراجع بالفرنسية.

ضيق الوقت، فالمدة المحددة لإنجاز هذه الدراسة قصيرة ،خاصة وأن موضوع دراستي واسع ومتشعب يتطلب وقتا طويلا لدراسته، لهذا إضطررت للتغا ظي عن بعض الأحداث تفاديا للتأخر.

ولا يسعني في الأخير إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدني، ووقف بجانبي لإنجاز هذا العمل ، وأخص بالذكر أستاذي الفاضل الذي أشرف على

موضوعي هذا الدكتور صالح بوساليم، كما أتقدم بخالص شكري وامتناني للأستاذ جلول بن قومار الذي لم يبخل على بنصائحه وتوجيهاته المنهجية.

الفصل المدخلي:

الأوضاع السياسية في المغرب الأقصى و شبه الجزيرة الأيبيرية

المبحث الأول : الأوضاع العامة في المغرب الأقصى خلال القرن 15م9هـ/16م9هـ .

1 - المغرب في عهد أسرة بني مرين

2- المغرب في ظل حكم الوطاسيين

3-الأوضاع في عهد الأشراف السعديين

المبحث الثاني: الأوضاع السياسية لشبه الجزيرة الأيبيرية

1-الأوضاع في اسبانيا

2-الأوضاع في البرتغال

المبحث الأول:

الأوضاع السياسية في شبه الجزيرة الإيبيرية و المغرب الأقصى :

الأوضاع في المغرب الأقصى:

عرف المغرب الأقصى في القرن الخامس عشرالميلاديالتاسع الهجري ، تطورات هامة فتعاقبت في الحكم بعد سقوط الموحدين، أسرة بني مرين ثم بني وطاس وبعد القضاء عليهم قامت دولة الأشراف السعديين فياترى ماهي الظروف التي عرفها المغرب خلال كل مرحلة ؟

- المغرب في عهد بني مرين
- المغرب في ظل حكم الوطاسيين
- الأشراف السعديين في المغرب الأقصى
- التهديد العثماني على المغرب
- نشاط القوى الدينية .

أولا– المغرب في عهد أسرة بني مرين :

ظهرت بظهور عبد الحق عام (1196ه/1465 م)[1]، وهو عامل الموحدين على فاس وكان من قبيلة زناتة من فرع بني مرين وصار له سيط وقوة، خاصة بعد القضاء على دولة الموحدين، في معركة بين فاس و مكناس على يد أخيه يعقوب، ثم حكم من بعده ابن عمه مولاي الشيخ، وأعلن أبي يوسف الحرب على أبي دبوس لإخراجه من فاس، وتمكن يوسف من دخول مراكش بعد هزم أبي دبوس [2]، وفيهم أقام الله تعالى في المغرب الدين وسيوفهم القمع بجزيرة الأندلس المشركين وإبقاءها دماء المسلمين، ولقد حقق المرنيون إنتصارات على الغزاة وهزموهم شر هزيمة [3]، وقد قال عنهم البعض:"ما

---

[1] مارمول لويس كاربخل : **إفريقيا** ، تعريب محمد حجي وآخرون ،د ط،ج3، دار النشر للمعرفة ، الرباط 1989/1988 ، ج2، ص 373.

[2] نفسه :ص 122.

[3] أحمد بن مقري التلمساني : **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ، تحقيق حسان عباس، د ط، دار صادر، بيروت1988م، مج4، ص 385.

نصر المسلمون من العقاب حتى دخل يعقوب المريني، وفتك في بعض غزواته ملك من النصارى، فكانت له بلاد الأندلس والجزيرة الخضراء وطريق جبل طارق، وكانت لهم عند إبن الأحمر جماعة بغرناطة، وعليهم رئيس من بيت ملك بني مرين يسمونه شيخ الغزاة [1]، وبهذا فقد كان وضع المغرب في عهد بني مرين حافل بالإنتصارات، وقد أستفحل ملكهم في المغرب بل وتعداه إلى الخارج في الأندلس وإلحاق الهزائم ضد الإفرنج فبقي الأندلسيون في عهدهم في أمان خلال القرنين (14/13م)، وفرضوا سلطتهم في الداخل و لم يأمنوا من غدر بعض الحاقدين عليهم فاعتمدوا في تسيير شؤونهم على اليهود خاصة الملك عبد الحق الذي قضى على الوزراء الوطاسيين"[2]، بينما مارس اليهود والنصارى شؤونهم بكل حرفة، كما حاولوا إستمالة العرب والبربر تفاديا للفتن والصراعات، وأعطوا مكانة عظيمة للصوفية الذين يكنون كل الكره والعداء إتجاه النصارى واليهود.

وفي الجانب العلمي : فقد أعطوه أهمية ونشطوا الحركة العلمية ببناء المدارس وتزويد المساجد بالخزائن العلمية وغيرها من المشاريع[3] .

إنتشار الفتن والصراعات حول تولي العرش:

ظهرت ملامحه منذ تمرد أبي عنان على سلطة والده أبي الحسن، وكان ضعيف الشخصية و لم يتحمل أعباء الحكم، وبويع من بعده أبو بكر وكان صغير السن، ثم بويع "أبو عمر بن تاشفين" و لم يكن لدى" أبو زيان" أي نفوذ هو الآخر وعين من بعده الصبيالذي لا يدري شيئا عن الحكم و هو "أبو زيان"، مما أضطر "أبو سعيد عثمان" لإعلان طاعته هو الآخر لبني حفص وكما ذكرت أن عبد الحق قد منح الوزراء الوطاسيين ونصب مكانهم اليهود[4].

---

[1] مار مول لويس كاريخال : المصدر السابق ، ج2 ، ص 373.

[2] أحمد بن محمد المقري المرجع السابق، ص 385.

[3] إبراهيم حركات : **المغرب عبر التاريخ** ، ط1،مج2، دار الرشاد و الحديثة الدار البيضاء1978، مج2،ص86 .

[4] نفسه : ص 78.

بدأت ملامح الضعف و الإنحطاط[1]، إثرالتدخل المسيحي في الشؤون المغربية،والصراعات والحروب ضد بني عبد الواد و الحفصين، وتدخل طرف آخر فيها وهم بنو الأحمر[2].

ثانيا– المغرب في ظل حكم الوطاسيين:

يعتبرالوطاسيون فرع من قبيلة زناتة الأمازيغية ولكنهم ليسو من بني عبد الحق [3] تأسست دولتهم على يد الشيخ الوطاسي عا م 1471م[4]، ولّما آل الحكم إليهم كانت سلطتهم محدودة بفاس، و لم يستطيعوا أن يضبطوا سيطرتهم بشكل كامل وفي عهدهم عرف المغرب إنتشارا للفوضى وعمت الفترةأذكر منها :

التفكك و التجزئة:

ظهرت وحدات سياسية مستقلة منها إمارة بني هنتاته، وإستولوا على المنطقة وتوسعوا من منتصف القرن (9هـ / 15م)، بعد صراع بين أمير جبل هنتاتة و أمير مراكش والتي إتخذ ها بنو هنتاتة عاصمة لهم[5].

ظهرت إمارة بني شفشاون الثائرة ضد بني وطاس، خاصة إثر مهادنة بني وطاس للبرتغاليين. وهي من أهم المراكز التي جاهد فيها المغاربة ضد الغزو البرتغالي أقربها من الثغور المحتلة، أهمها حركة علي بن راشد الجهادية وإبنه إبراهيم وظهرت عائلة أندلسية جاهدت ضد الغزو الخارجي و هي أسرة المنظري[6].

---

[1] عزيز سامح إلتر : **الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية** ، ترجمة محمد علي عامر ، ط1، دار النهضة العربية ، بيروت1989م ، ص186.

[2] إبراهيم حركات : المرجع السابق ، ص 81 .

[3] أبوالعباس أحمد خالد الناصري : **الإستقصاء لأخبار دولة المغرب الأقصى**، 9ج، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب، الدار البيضاء 1955، د. ت ، ج4 ، ص96 .

[4] عمار بن خروف : **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري / والسادس عشر ميلادي**، ط1 ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، الجزائر2006 ، ج1 ، ص 64 .

[5] عبد الكريم كريم : **المغرب في عهد الدولة السعدية** ، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب1978م، ص 16.

[6] هو أبو حسن علي المنظري الغرناطي مؤسس إمارة بتطوان . أنظر محمد داود: **مختصر تاريخ تطوان** ،ط2، مطبعة المهدية ، تطوان ، المغرب1955م ، ص 15 .

وكذلك نجد عائلة العروسي في القصر الكبير ولأنها سوق مشهورة كانت تجلب السلع إليهامن كل الجهات وعملت هذه العائلة على الجهاد ضد الغزو المسيحي[1].

وسط المغرب وغربي الوسطي : نجد إمارات ابن حدو، وأخيه أبي فارس في الج ل الأخضر، وفي آسفي آل فرحون وجمهوريات مدن تاقرة والجمعة وآزمور، ونفوذ رؤساء القبائل في سهول دكالة، تادلة كلها لم تكن خاضعة للوطاسيين، وفي جنوب المغرب وغربه نذكر جمهوريات تارودانت[2].

في ظل التجزؤ الذي عرفه المغرب خاصة في عهد الوطاسيين الذين عجزوا على القضاء عليه، وبدأت معالم الضعف والإنكسار تظهر عليها[3]، جراء المشاكل التي عانها من صراع أفرادها على السلطة ، وكذلك إشراف قوتها إجراء دفاعها المستمر عن الثغور المغربية ضدالعدو، وأصبحت تدافع عن الثغور المغربية القريبة من عاصمتهم فاس[4] .

أما البعيدة فلم يستطيعوا الدفاع عنها خاصة سواحل السوس التي وقعت في شباك العدو، مما أضطر الأمر إلى التوحد تحت قائد واحد وهو القائم بأمر الله ليكون إختياره إيذانا بقيام دولة الأشراف السعديين وقام هذا الأخير ترأس حركة الجهاد عام (916هـ ـ 1511/1510م) في الجنوب قرب تارودانت[5].

وفي رجب (952هـ 1545م) وقعت معركة درنة : بين السعديين الوطاسيين بقيادة محمد الشيخ السعدي وأحمد الوطاسي و إنتهت بإنهزام هذه الأخيرة وأسره و إبنه لتكون نهاية سلطة بني وطاس[6].

---

[1] عبد الكريم كريم : المرجع السابق ، ص16.

[2] عمار بن خروف : المرجع السابق ، 46 .

[3] عبد الهادي التازي : **التاريخ الديبلوماسي للمغرب السعديين** ، 10ج ، مطابع فضالة ، المحمدية ، المغرب 1988، ج8 ، ص7.

[4] عبد الله كنون : **النبوغ المغربي في الأدب العربي** ، 3ج ، ط2 ، د ـ ت ، ج1 ،ص 234.

[5] عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ص 7 .

[6] دييقو دي طوريس : **تاريخ الشرفاء** ، تعريب محمد حجي ومحمد الأخضر ، شركة النشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، د.ت ، ص10.

ثالثا– بداية عهد الأشراف السعديين:

حاول الشيخ السعدي في بداية الأمرأن يتفادى الإصطدام بالوطاسيين، خاصة في ظل خطر الغزو البرتغالي، فأظهر ولائه للسلطة الوطاسية خاصة في ظل إنشغالاتهم بمشاكلهم في الشمال [1]، إلا أن الصدام بين الطرفين كان لا بد منه، خاصة عندما خسرالوطاسيون مكانتهم و نفوذهم في المناطق إثرظهور السعديين فرأوا أن هؤلاء هم السبب في الضعف الذي آل إليه الوطاسيون.

القضاء الأول على الحكم الوطاسي في فاس (965ه/1549م):

عام (955هـ / أكتوبر 1548م) وجه السلطان السعدي حملة، مكونة من ثلاثين ألفا فارس (30ألفا) مابين فارسا ومشاة، وحاصر فاس عاصمة الوطاسيين ودخلها في جانفي (956هـ/1549محرم)[2]، وإثر هذا الإنتصار أضطر أبي حسون الوطاسي إلى طلب يد العون من العثمانيين في الجزائر أي عهد السلطان سليمان القانوني، ليكون بداية للتدخل العثماني في شؤون المغرب الأقصى وفرصة لإخضاعها تحت لواءها[3].

القضاء النهائي على الأسرة الوطاسية (916ه/1554م):

تمكن أبي حسون الوطاسي من إسترجاع فاس في مطلع (صفر961ه/جانفي 1554م)[4]، بعد دخولها في جمادي الأول 02 عام (961هـ/1554م)، ووقعت على إثرها معركة حاسمة بين محمد الشيخ وأبي حسون و إلتقى الجمعان، في مكان يسمى رأس الماء[5]، وإنتهت بقتل أبي حسون عام (**964**هـ/1556م)[6].

---

[1] محمد خير فارس و محمود عامر : **تاريخ المغرب العربي الحديث**، منشورات جامعة دمشق1999/2000م، ص 35 .

[2] عمار بن خروف: العلاقات السياسية بين الجزائر و المغرب ،المرجع السابق، ص 56 .

[3] عبد الفتاح أبو علية : **الدولة العثمانية والوطن العربي الكبير**، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية الرياض2008 ، ص60

[4] عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، 190 .

[5] عبد الكريم كريم: المرجع السابق ، ص82 .

[6] عبد الهادي التازي :المرجع السابق ، ص8 .

ورفض "محمد الشيخ" الرضوخ تحت لواء الدولة العثمانية بعد أن حاول العثمانيون في الجزائر ضم المغرب الأقصى بكل الطرق و السبل المختلفة،بحجة حمايته من الأخطار الأيبيرية، وتوحيد القوى الإسلامية ، إلا أنّ السعديين لم يعترفوا بأحقية بن عثمان بحمل لقب الخليفة فكيف يرضون بضم المغرب تحت لوائها، هذا ما تجلى في موقف محمد الشيخ حيث رفض تبعية المغرب للباب العالي، ودخوله في تحدي الأتراك العثمانيين، هذا كان بالنسبة لموقف السعديين من الخلافة العثمانية.

أما الوضع داخل المغرب، فإنه إثر الفراغ الذي تركه الوطاسيين بعد سقوطهم كان الغزو الخارجي قد تقوى واستولوا على كثير من الثغور فأصبح أهل المغرب ينتظرون حملة جهاد لتظهر قيادة جديدة ضد الغزو، وهي دولة الإشراف السعدية [1] الذين ظلوا يعيشون حياة البساطة والتواضع حتى مطلع القرن العشر الهجري السادس عشر الميلادي، وأثناء ظهورهم كان الغزو البرتغالي كان إستفحل على الشواطئ المغربية و يعتبر من أهم أسباب إستنجاد أهالي الجنوب بهم، ودعا القائم بأمر الله أولاده إلى الجهاد ، ليعلو شأن السعديين[2]، بين الناس بما حققوا من قداسة وشرف وعجز الملوك عن وضع حد لشوكتهم فقام أبوعبد الله محمد بوضع اللبنات الأولى لدولة الأشراف السعديين والتي سيتم إنجازها على دولة بدأ أبناءه عبد الكبير و"أحمد"[3]، و"محمد"[4]،وليكون لهذين الأخوان شأن عظيم حيث حملا راية الجهاد على

---

[1] فهد بن محمد السويكت :**"موقف الأشراف السعديين من مسألة الخلافة" ، في مجلة جامعة الملك سعود،** كلية الأداب، الرياض2006 م، عدد16، ص17.

[2] الأشراف السعديين هم من الحجاز ، ينتسبون إلى ولد محمد النفس الزكية ، للمزيدأنظر أبو العباس أحمد الناصري:المرجع السابق، ج5، ص3.

[3] هو أبو العباس الأعرج ولد سنة (918ه/1486م) (تمحرم 964ه/ 1557م)، كان له دور فعال في التصدي ضد حملات النصارى ، أنظر أحمد ابن القاضي: **لقط الفرائد من لفاظة الفوائد،** تحقيق محمد حجي ، ط1، (موسوعة أعلام المغرب) ، دار الغرب الاسلامي، بيروت ، لبنان، 2ج، ص897 .

[4] هو محمد الشيخ المهدي ولد قبل نهاية القرن العاشر الهجري، مات مقتولا على يد بعض الأتراك العثمانيين تولى الحكم من بعده كل من أولاده وهم عبد الله الغالب و عبد الملك و أحمد المنصور .للمزيد من الاطلاع أكثر، أنظر ابراهيم حركات :**السياسة و المجتمع في العصر السعدي** ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء المغرب1985، ص 51.

على النصارى بسوس وطالت حربهم [1]، إثر إشتداد وطأة الغزو البرتغالي على سكان الجنوب المغربي، وقد استبشر الأهالي بهم، و هذا ما جعل المجذوب يقول فيهم:

هم يقـــولوا الجوع الأكحل جاز وأنت نقولهم لا لا

اللي يبشـــــترنـــتي بالجوع جار نبشره بخروج فيلا له

وقد قالها عن السعديين الذين كانوا في فيلالة و تنبأ ظهور دولتهم [2].

يعود سبب إلتفاف الناس حولهم جملة من الأسباب نذكر منها:

تفجير زعماء الصوفية الأوضاع في البوادي لتشجيعها على مقاومة الغزاة دعوة الزوايلي إلى نقل الحكم إلى أسرة الأشراف عوض حكم العصبيات البربرية التقليدية من مرابطين و موحدين و مرينيين [3].

الدور الجغرافي كان له دور في ظهور الأشراف السعديين فبلاد درعة وما جاورها كان للسعديين نفوذ قديم بها ، و كان لهم ذلك أيضا في بلاد السوس، من جهته قام القائم بأمر الله بتوصية ولديه ضد النصارى، فعمل كل من ولديه محمد الشيخ وأحمد الأعرج على وصيته، و طلبا من السلطان المريني السماح لهم بالجهاد والرباط، فأعطاهما العدة وبقيا يحرضان القبائل على الجهاد إلى دار النصارى وإستقرا هناك وكثر جموعهم و زحفا إلى مراكش [4]، وكان سماح بنو وطاس لهم بالجهاد فرصة للتنقل في بلاد المغرب، ولكن دخول أحمد الأعرج مراكش، أثار حفيظة الوطاسيين لتأخذ علاقتهما منعطفا آخر [5]، وما زاد الأمر تأزما هو محاولة استمالة والتحالف مع مرابي الدلاء الدين مرابطي الريف يكنون الكره للوطاسيين إثر تقاعسهم عن الجهاد ومشاركة الأعرج في الجهاد أمام طنجة وأصيلا، وحظي بتأييد الجزوليين، وتحالف مع

---

[1] مجهول : **الدولة السعدية التكمدراتية** ، تحقيق و تقديم عبد الرحيم بنحادة ، ط1، دار تينمل للطباعة و النشر ،مراكش 1994، ص 13.

[2] عبد الرحمان رباحي:**قال المجدوب (من الرباعيات المنسوبة إلى الشاعر الشعبي المغربي الشيخ سيدي عبد الرحمان المجوب)**، الجزائر رمضان 1423ه/27نوفمبر2000م، ص39.

[3] محمد السيد أبو رحاب: **العمائر الدينية و الجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين** ، دراسة أثرية معمارية ، ط1، دار القاهرة ، مصر2008م، ص41.

[4] مجهول : المصدر السابق، ص13.

[5] محمد خير فارس ومحمود عامر : المرجع السابق ، ص35.

أمراء هنتاته الذين كانوا يسيطرون على جزء من الأطلس العظمى، فقام السلطان الوطاسي بمحاصرة مراكش والتصدي لثورة أولاد عمه في فاس، وانتهى الصراع عام 1528م[1]، ووقعت على إثرها معركة أنماي عام 1528[2].

أحمد أحمدالأعرج التمرد الذي كان بها لكن لم ينتصر أي منه م ا[3]، وثم عقد صلح بينهما في 935هـ / 1528م[4] وفي عام (1530م/ 937 هـ)، توفي المنصور ورحل أبو حسون مكانه بينما استولى محمد المهدي بمعاونة أخيه الأعرج على مراكش وانتهى الوجود المريني نهائيا[5].

ومن الصراعات نجد معركة بوعقبة عام (943/03/09هـ-1536/07/29م)في بوعقبةعلى العوابيد، إنتهى بهزيمة كبيرة لجيش السلطان أبي العباس أحمد الوطاسي من الرغم من تفوقه العددي (20.000) مقابل (12.000)، وتمكن السلطان الو طاسي النجاة بنفسه بصعوبة[6].

وفي عام (953هـ / 1536م) هاجم مولاي أحمد الأعرج السلطات أحمد المريني أخ أبي حسون لكن الصراع انتهى بصلح يقضي بتقسيم المناطق بينهما فمن شرق تادلا إلى الشمال مباشرة عائد لحاكم فاس، من سوسة جنوبا عائدا لسلطات مراكش وهكذا أسس السعديون دولتهم عام (943هـ / 1536م)[7]، وفي عهد محمد الشيخ وقعت معركة ضفاف وادي درنة ، أحد رافد أم الربيع، و إنهزم الوطاسيين فيها وأسر السلطات أحمد، وشارك في المعركة أبو حسون عمر السلطات أحمد حاكم إقليم

---

[1] محمد خير فارس و محمد محمود عامر : المرجع السابق ، ص36.

[2] أنماي : أحد جبال الأطلس الكبير الشاهقة ، للمزيد من التفاصيل أنظر :مارمول : المصدر السابق، ج2 ص68.

[3] محمد الصغير بن الحاج الأفراني : **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي** ، تحقق هوادس، باريس1889م، ص20 .

[4] السلاوي :المرجع السابق ، ج4، ص150.

[5] عزير سامح إلتر : المرجع السابق ، ص 89 .

[6] عمار بن خروف : المرجع السابق ، ص 53.

[7] عزيز سامح ألتر: المرجع سابق ، ص89 .

باديس على رأس قوات الريف ونجح بعد أسر إبن أخيه في لم شتات الجيش الوطاسي ونادى بإبن السلطات أحمد حاكما مؤقتا واكتفى بدور الوصي ونجح في صد الهجوم السعديين على مكناسة، وأعلن أبو حسون ولائه للعثمانيين في عهد السلطان سليمان القانوني الذي أوفد سفيرا له إلى مراكش، وطلب من محمد الشيخ أن يحذ و حذو أبي حسون ولكن محمد الشيخ رفض وقام بمعاداة الأتراك[1].

رابعا: التهديد العثماني:

بعد الإنتصارات العظيمة التي حققها العثمانيون، وإخضاع دول المغرب الإسلامي كل من الجزائر، تونس، طرابلس تحت لوائها، حاولت ضم المغرب الأقصى و إلحاقها بالايالات الثلاث، و قد كان سيتحقق لهم ذالك، خاصة إثر محاولة الوطاسيين التقرب منهم و كسب ودهم، حتى يضمنوا عدم التدخل العسكري العثماني.

أصر العثمانيين على محاولة القضاء على السلطان الوطاسي أبي حسون[2]،حتى يتمكنوا من ضم المغرب تحت لوائها، في حين تعرض السعديون للتهديد العثماني، و إن لم يكن بالضغط عليهم في ضل ضغط الأسبان و البرتغال عليهم، لأن العدو كان واحد، ولأنه كان يهدد التواجد العثماني بالخصوص، فعمل المسيحيون على محاولة تحسين العلاقات بين الوطاسيين و السعديين، وتم عقد هدنة بين الطرفين حتى يمنع المسيح العثمانيين من توسيع نفوذهم في المغرب كما عملوا على تحريض الشيخ السعدي، من قبل الغزاة ضد الأتراك [3]، كما عمل الأيبيريين على إتباع إستراتيجية، بحيث لم يبادروا بالانقضاض على الوطاسيين لحظة ضعفهم ، ليس تخوفا منهم وانم كانوا يدرون أن صدامهم بالوطاسيين، سيستدعي هؤلاء الأخرين إلى الإستنجاد بالعثمانيين[4] .

إن الظروف السياسية الصعبة التي عرفها المغرب الأقصى خلال القرن التاسع عشر / الخامس عشر، إنعكس سلبا في جميع الأحوال :

---

[1] عمار بن خروف :المرجع السابق ، ص38.

[2] المجهول: المصدر السابق، ص24.

[3] عمار بن خروف: ا لمرجع السابق، ص92.

[4] عبد الكريم كريم : المرجع السابق ، ص59.

2) الإجتماعية : فانتشر الفقر على غالب سكان المدن ولا سيما في القرى وتردي ومنع السكان إثرهجراتهم بسبب الغزو بحثا عن أماكن أكثر أمنًا، وفقدوا بذلك منازلهم وأملاكهم مما شهدت وضعيتهم تردي[1]، وسادت المجاعة و اضطر الأهالي إلى الهجرة حتى أنهم هاجرو إلى البرتغال بمحض إرادتهم، وهذا ما حدث في دكالة وكان آنذاك الملك البرتغالي عما نوئيل الأول، والملك أبو عبد الله محمد البرتغالي[2]

وما زاد الوضع تأزما هوالغزو البرتغالي و الإسباني للسواحل الأطلسية و المتوسطية للمغرب الأقصى[3]، مستغلين الأوضاع المزرية والإضطرابات، فقد كان المغرب يمر بأزمات سياسة وإقتصادية وإجتماعية[4] .

3) الوضع الاقتصادي: فقد عرف تدهورا، فالتجارة خاصة الخارجية فقد تأثرت باضطراب الأمن في الطرق والأسواق من إعتداء الأعراب أو البرتغال أو الأسبان.

أما الصناعة فتأثرت بالتدهور التجاري والفلاحي بحيث قضي على القطاع الحرفي وقتل الحرفيين خاصة في المدن،وقلة المراكز الحرفية النشيطة في أوائل القرن (10/16مـ).

أما الفلاحة فقد تقلص نطاقها، وهاجر الفلاحين أراضيهم لقلة الأمن.

أما المجال الثقافي فقد خلت المراكز العلمية و أبرزها مدينة مراكش[5].

إلا أننا لا نستطيع إهمال الجهود التي بدلها السعديين إلى جانب الجهاد، إهتمامهم بمختلف المجالات خلال القرن (16م/10ه)، فقد حاولوا بكل المستطاع النهوض بالإقتصاد المغربي الذي آل إلى الإنهيار في عهد بني وطاس، من خلال توفير الأمن والإستقرار الضروريين، لتحسين الأوضاع الاقتصادية، فعملوا على التصدي

---

[1] عمار بن خروف : المرجع السابق ، ص 48.

[2] الحسن بن محمد الوزان : **وصف إفريقيا** ، 2ج، تعريب محمد حجي و محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د،ت ، ج1، ص72.

[3] مولاي بلحميسي : **البحر و العرب في التاريخ و الأدب** ، عاصمة الثقافة العربية ، الجزائر2007م، ص 177.

[4] محمد خير فارس و محمود علي عامر : المرجع السابق ، ص13.

[5] عمار بن خروف المرجع السابق ، ص 48 .

للهجمات البرتغالية التي كانت تصطحبها عمليات النهب و السلب، وفك الحصار الإقتصادي من خلال تحرير و افتكاك المناطق الساحلية سواء المتوسطية أو الأطلسية من السيطرة البرتغالية و الإسبانية ،لأنها كانت تمثل منا طق استرتيجية و حتى يتسنى للمغاربة من خلالها ممارسة تجارتهم بكل حرية [1]، و بالتالي رواج التجارة مع الخارج وبذلك نستنتج بأنه بالرغم من الأزمات التي شهدها المغرب الأقصى، إلا أنه لا ينفي أنه كان هناك إهتمام بالجوانب الأخرى، خاصة المجال الإقتصادي ، الذي شهد إزدهارا نوعا ما في عهد السعديين.

خامسا: نشاط القوى الدينية

إثرضعف المغاربة عن الدفاع عن الأندلسيين ضد الحلف الإيبيرية ظهرت حركات صوفية كان لها أثر البالغ على أوضاع المغرب في القرن التاسع الهجري السادس عشر الميلادي، كانت قد تعبأت القوى الشعبية تحت قيادة رؤساء الزوايا الصوفية، وعملوا على التحرير والتوحيد، جراء أخطار الإيبيريين الذين عملوا على قطع المغرب عن بعده الثقافي الروحي والتجاري والإفريقي[2].

ولقد ظهرت على يد أبي الحسن الشاذلي (ت 656هـ / 1258م)[3] ، والذي تمكن من إحياء السنة .

وإماتة البدعة وكشف أحوال المبتدعين من المصنفين ، وبين التربية النبوية ، وإجماع فحول العلماء ، ومشايخ الأولياء على علومه، وولايته، وإنه ممن أحي الله به الدين .

ولقد إنتشرت على يد الشيخ الجازولي (ت 869ه / 1415م)[4]، فقد حمل الشيخ الجازولي لواء الجهاد ضد الغزاة سبتة عام 1415م ، على إثرها أنشاؤوا مدرسة

---

[1] عمار بن خروف :"**ملامح من الحياة الاقتصادية في عهد السعديين**"، في **مجلة الدراسات التاريخية**، معهد التاريخ جامعة الجزائر1978م، عدد3، ص ص 69-70

[2] أحمد توفيق : **النسب الشريف والسند الصوفي في تاريخ المغرب ، د ط**، 2002 م، ص 6 .

[3] إسماعيل العربي : **معجم الفرق والمذاهب الإسلامية** ، ط1 ، دار الأفاق ، المغرب 1993 ، ص111

[4] محمد بن عسكر الحسني الشفشاوي: **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تحقيق محمد حجي ط2 ، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ، الرباط1977 ، ص29 ــ 30

التجنيد كطريقة فضل الجوهري المصري [1]، وقد ذكرهم الوزان : " أنه يوجد من بينهم عدد من علماء الشريعة الإسلامية لهم طلاب كثيرون يلحقون أكبر الضر بهذه الأجيال لاسيما في الأماكن التي يستقبلون فيها بالترحاب، ولا نفرض عليهم ضرائب ثقيلة، لأنهم ينفقون على الفقهاء والطلبة ..." .

و لم يكن دورهم يقتصر على الجانب المدني، بل تعداه الدوري السياسي ، كضمان الولاء للإمامة والتوسط بين الحاكمين والمحكومين ، وكان لهم دور في محاولتهم إرجاع الشرفاء إلى الحكم ، كما تدخلوا في شؤون السلطة ، و توجيهها، و عملوا على تسوية الخلافات بينها و بين العامة[2] .

يمكن القول أن:

المغرب الأقصى في عهد بني مرين شهد نوعا ما بعض الاستقرار، و لم يشهد التدهور الكبير الذي عرفه المغرب في عهد بني وطاس، حيث عان المغرب حالة من التفكك والتجزئة ، جراء ضعف الأمراء الوطاسيين، فظهرت وحدات سياسية مستقلة بذاتها وانتشرت الفتن و الفوضى، ما يظهر لنا مدى الضعف الذي آل إليه بنو وطاس، و لم يعد للوطاسيين القدرة في التحكم في زمام الأمور ، فانتشرت الصراعات الداخلية كالصراع الذي وقع بين أمير جبل هنتاتة و أمير مراكش، إضافة إلى الخطر الخارجي الذي انهال على السواحل المغربية ، و لكن الوضع اختلف عن كلا العهدين، بظهور الأشراف السعديين الذين غيروا مجرى الأحداث، فبعد أن كاد المغرب، أن ينهار نتيجة الوضع الذي آل إليه ، تمكن السعديون في اللحظة المناسبة في التحكم في زمام الأمور، و إخراج المغرب الأقصى من بعض مظاهر التدهور الذي عرفه، بحيث تمكنوا من توحيد المغر ب، و الدعوة إلى مواجهة العدو المشترك، و بهذا إستطاع السعديون الوقوف بالمرصاد أمام الزحف المسيحي .

---

[1] جلول بن قومار: **معركة وادي المخازن و أثرها في العلاقات المغربية مع دول غرب أوربا**،رسالة ماجستير، معهد العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، جامعة غرداية 2011/2010م :ص18.

[2] أحمد توفيق :المرجع السابق ، ص6.

2- الأوضاع في شبه الجزيرة الأيبيرية :

1) الأوضاع في اسبانيا:

لقد كان الوضع العام لأوربا في بداية العصر الحديث متغيرا عما كان عليه في العصور الوسطى، خاصة في الوضع السياسي و ظهرت الدول القومية و تم التحرر من الوضع الإقطاعي المستبد و بدأ السعي نحو قيام دولة قومية موحد، كما تم تراجع نفوذ الكنيسة الرومانية لتظهر الحركات الإصلاحية الدينية[1].

1) أوضاع قشتالة و أرغون

2) اتحاد مملكتي قشتالة و أرجون

3) سقوط غرناطة اخر المماليك الإسلامية

أما الوضع في إسبانيا فظهرت ممالك منفصلة و هي مملكة ارجوان و مملكة البرتغال ومملكة قشتالة[2] ، و هذا التجزؤ حال دون أن تتقوى، لكن الشيء الذي كان يجمع بينها هو العداء للإسلام و المسلمين. لهذا يعتبر من أهم و أقوى العوامل التي ستوحد هذه الممالك المسيحية لمواجهة الوجود الإسلامي بغرناطة[3].

و من أشهر الممالك التي تكن العداء للمسلمين مملكتي قشتالة و أرجونة ، و قبل أن نتطرق إلى كيفية اتحادهما، نتطرق إلى بعض أوضاع كل منهما.

---

[1] عبد العزيزنوار و محمودمحمد جمال الدين : **التاريخ الأوربي الحديث من العصر النهضة الى الحرب العلمية الاولى**، دار الفكر ، دمشق1999م، ج1، ص33 .

[2] فيج .جي . دي : **تاريخ غرب افريقيا** ، ترجمة السيد يوسف النصر ، ط1، دارالمعارف ، النيل ، القاهرة 1982م، ص107

[3] نبيل عبد الحي رضوان : **جهود العثمانيين لانقاذ الأندلس و استرداده في مطلع العصر الحديث**، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ، السعودية1982 ، ص 30.

أولا- أوضاع قشتالة و أراغون:

أوضاع قشتالة :

كانت قشتالة مسرحا للنزاعات السلالية [1]،و كانت تعمها الحروب الأهلية الفوضى، و مر بها أمراء ضعاف حكموا المملكة أمثال جون الثاني (1406/1454م)[2] وإبنه هنري الرابع (1454-1474م) ، فظهر منه لم يستطع التحكم في زمام الأمور فعمل عمه لفترة،لكنه ترك قشتالة لمصيرها بعد أن تبوأ العرش في أرجوان بقرار من الكورتيس[3].

أما أوضاع أراجون :

تضم أراجون أملاكا هامة داخل أسبانيا و خارجها، فلها كتالونيا و فالنسيا وجزر الباليار في الحوض المتوسط ، كما كانت تمتلك صقلية ،و تطالب بنابولي[4].

ثانيا- إتحاد مملكتي قشتالة و أراغون (الزواج السياسي):

ضلت هاتين المملكتين متفرقتين ، و لم تستطع كل منهما القضاء على الوجود الإسلامي في ظل هذا التفرق و التجزؤ ، و كان الشيء الذي بجمعهما هو الحقد الصليبي على الإسلام و المسلمين .

حاول الملك يوحنا الثاني ملك أرجونة أن يوحد المملكتين، فأعد لذلك خطة، وهو أنه بعد أن ولى العرش لابنه فرناند الخامس في عام (884ه/1479م) ، بعد وفاته عام (808ه/1454م)، في الوقت الذي تولت فيه إيزابيلا (إسابيلا)عرش قشتالةعام 1469م، والخطة كانت تهدف إلى زواج هذين الملكين لتحقيق وحدة المملكتين ،

---

[1] موريس كروزيه: **تاريخ الحضارات العام و القرون الوسطى**، ط2، منشورات بيروت، باريس 1986، ص242.

[2] صالح حسن العكيلي : **محاضرات في تاريخ أوربا في عصر النهضة** (1453/1789م)، ط1، الوراق للنشرو التوزيع ، عمان 2006، ص 233.

[3] محمد عبد الله عنان : **دولة الإسلام في الأندلس** ، ط4، مطبعة الخانجي ، مطبعة المدني ، القاهرة، مصر 1997م، ص 17.

[4] زينب عصمت : **تاريخ أوربا الحديث** ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ج1، ص20.

فعرض عليها الزواج و الذي تم فعلا[1]، رغم رفض أخيها هنري لزواجها منه لما إعتبره أن له تأثير البعيد المدى في سير التاريخ الإسباني [2]، إلا أنه تم عقد هذا القران في بلدة الوليد valladolid [3] ، وكان الزواج شبه سريا فلم يحضره إلا قلة من الأصدقاء ليتم زواج فرديناند (1467-1516م) ملك أراغون بإيزابيلا (1474-1504م)، ملكة قشتالة، وتم بهذا الزواج توحيد المملكتين، و ظهور مملكة أسبانيا الكاثوليكية الموحدة[4] تحت حكم أكبر ملكين كاثولكيين متعصبين ضد المسلمين[5].

و لكن هذا لا يعني أنه قد غير من سيكولوجية شعبين مختلفين كقطالونية، التي تعتبر من أهم مقاطعات مملكة أرجونة لم يتم اندماجهم مع أهل قشتالة لاختلاف اللغة [6].

سياستهما :

إتجهت الممالك الإسبانية المسيحية وجهت قواتها إلى العالم الإسلامي لبدأ الصراع بين الإسلام والمسيحية [7]، وبدافع ديني أشرف الملكان فرديناند الكاثوليكي وزوجه على الحروب ضد المسلمين، وكان يردد مقولته المشهورة قائلا:" إننا تعمل لأجل خدمة الله، ونحارب أعداء الدين"[8].

و أهم سياسة البعثات التجسسية على المغرب الإسلامي، فقد أرسل فرديناند عام 1494م جاسوسا إسمه فيرنانداي زافير Fernando الذي إستطاع بفضله أن يطلع

---

[1] عبد الرحمان علي الحجي : **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة** ، ط2، دار القلم، دمشق، بيروت1981م، ص527.

[2] محمد عبد الله عنان :المرجع السابق، ص167.

[3] شكيب أرسلان : **خلاصة تاريخ الأندلس إلى سقوط غرناطة** ،مطبعة المنار، مصر 1925م، ص215 .

[4]Fernand braudel : **méditerrannée et le monde méditerrannée a lépouque de philipe**,2t,2émé édition, librairie Armaund celui, Paris, 1966, t2, p19.

[5] ناهد إبراهيم الدسوقي : **دراسات في تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر**، دار المعرفة الجامعية ، سوتير، الإسكندرية 2008،ص30.

[6] هربرت فيشر: **أصول التاريخ الأوربي الحديث** ، تعريب زينب راشد و اخرون ، ط3، دار المعارف، مصر1970م، ص 74.

[7] نبيل عبد الحي رضوان : المرجع السابق ، ص35.

[8] عائشة غطاس : **الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها** ، د ط، منشورات المركز الوطني، الجزائر2007،ص 14.

الملك على كثير من الأخبار وأوضاع فاس وغيرها من المناطق [1]. بالإضافة إلى زوجته إيسابيلا فقد أرسلت هي الأخرى بعثة مكونة من مجموعة من الأشخاص عرفت " بلورينثودي باديا" عام 1493م ، وتمكنوا من معرفة الكثير من المنطقة [2].

حتى وبعد وفاتها كانت قد تركت وصيتها قائلةً: " ... إني أرجو الأميرة ابنتي (جين) و الأميرة زوجها فيليب، وأمرهما بطاعة وصايا المقدسة الكرسيّ، طاعة تامة وأن يكون حماتها والمدافعين عنها حسبما يقتضي واجبها، وألا يكفا عن متابعة فتح إفريقية، ومحاربة الكفار في سبيل الإيمان ... "[3].

كما أنه من ضمن سياستهما سياسة زواج المصلحة وهذا بتزويج بناتهم مع أمراء البرتغال إنكلترا، فرنسا، وقد أعطت ثمارها عام (927 ه/ 1520م)، حين تولى شارل الخامس الإمبراطورية المقدسة[4].

ثالثا- سقوط غرناطة :

تمكنت إسبانيا من تحقيق وحدتها وبناء قوتها إثر زواج فرديناند الأراجوني وإيزابيلا القشتالية، أعلنا كرههما وحقدهما على الإسلام والمسلمين ، فأصدر قانون مرسوم يقضي بالطرد النهائي لجميع المسلمين الموجودين في شبه الجزيرة الأيبيرية [5].

و فعلا هذا ما بادر به الملكان فبعد إسقاط كل العواصم الكبرى من إشبيلية وقرطبة في القرن 13م، وغيرها[6]، ثم أسقطا كل تركيزهما على غرناطة آخر معقل للمسلمين والتي كان يحكمها أبو الحسن وهو الأمير التاسع من بيت بني الأحمر، وكانت له

---

[1] Fernand B raudel : **Les pagnles et l'Afrique du Nord 1492–1577**, in R. A , Alger 1928, t 19 , P217.

[2] جون بول وولف : **الجزائر و أوربا (1500–1830)**، ترجمة و تعليق أبو قاسم سعد الله ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر1986، ص53.

[3] Hnri D. DE G rammont : **Histoire D'lgers sous la domination turque (15151830)**,Ernest leroux Editeur,Paris , 1887, P5.

[4] نوار عبد العزيز و محمد جمال الدين : المرجع السابق ، ص 48.

[5] عمر محمد الباروني : **الإسبان و فرسان القديس يوحنا في طرابلس** ، مطبعة ماجي ، طرابلس1925م، ص47.

[6] ل. جي .شيني : **تاريخ العالم الغربي** ،ترجمة محمد الدين حفني ناصف ، دار النهضة العربية 2003،ص 174.

محاولات في إسترجاع بعض الحصون فأوقع تدمير كبير في الأندلس وفي مملكة مرسية ، فاضطر الملكان فردنياندو إيزابيلا من عقد هدنة معه ، في ظل إنشغالهم بمحاربة ملك البرتغال لتداخل مصالحها لولا تدخل البابا دون نشوب الصراع، كان إثرها الأمير أبي الحسن قد نقض الهدنة بمهاجمة قلعة الزهراء ، ليلا وبذلك أثار غضب الملكان، فقرر أن يفتحا المملكة التي كانت تعرقل أهدافهما ويقضيا على أتباع محمد في فبادر فرديناند بمحاصرتها من خلال القضاء على مدينة الحمتة (الحامة) جنوب غرب غرناطة عام (887 ه- 1482م) ثم زحف ملك قشتالة لمحاصرة مدينة لوشة Loja [1] .

ولجأ إلى التحريض بين المسلمين وإذكاء الفتنة بينهم ، وخرج فرديناند في محاولة فاشلة إلى غرناطة بخمسة آلاف فارس، وعشرين ألف من المشاة ووقع خلاف قوى بينهما ، قتل المسلمون خلالها عدد كبيرا من الجنود الإسبان، بعد أن قسموا البلاد في حين حاول " أبوعبد الله بن أبي الحسن " أن يسترجع بعض الحصون لكنه لم يفلح وإستطاع المكان بنيا مدينة شنتفي. عام (897ه/1491م)، وبالتالي حوصرت غرناطة، وبدأ بالهجوم عليها من خلال هذا الموقع ، و إشتدادا حصارهما ثمانية أشهر و10 أيام ، أي (25 أفريل 1491م) وتفاوض وتوصلا إلى عقد معاهدة بين الطرفين في(25 نوفمبر 1492م) وقدم خلالها "أبي عبد الله" سبعة وستين (67) شرطا أمنوا فيها على أنفسهم ودينهم وأموالهم وأعراضهم وأملاكهم وحركتهم، وإقامة شعائرهم وإحترام مساجدهم ومعابدهم، وفك أسرهم، وإجازة من يرد الهجرة منهم إلى العدوة (المغرب) وإعفائهم من الضرائب، و لم ينفذ منها ولا شرط واحد بعد الإستيلاء على غرناطة لتمادي الإسبانيين في تعصبهم الحاقد، ولقد أتوا ما أتوا باسم "المسيح " عليه السلام" .

وبعد إستلام غرناطة مقام المكان بتنصيب صليب فضي كبير على برج الحراسة la vela torre de أعلى برج في قصر الحمراء، ورفعت جواره راية القديس

[1] عبد الرحمان علي حجي : المرجع السابق ، ص550.

يعقوب وراية قشتالة[1]، وخرج عبد الله حاملا أذيال الهزيمة وهو يبكي وأمه توبخه قائلة " أجل فلتبكي كالنساء على ملك لم تستطع أن تدافع عنه كالرجال"[2]

سياسة شارلكان اتجاه مسلمي الأندلس:

عام (12 مارس من عام 1524م)، أصدر شارلكان مرسوم يحتم تنصير كل مسلم بقي على دينه وإخراج كل من أبى النصرانية من إسبانيا ، وأن يعاقب كل مسلم أبى التنصير والخروج في المهلة الممنوحة بالرق مدى الحياة ، وأن تحول جميع المساجد الباقية إلى الكنائس، وتم فعلا تنصيرهم جميعا سنة (933ه/1526م)، وأرهق مسلمي الأندلس بالقوانين التي يصدرها، وظلوا في موضع القطيعة والريب عرضة الإرهاق والمطاردة، وليثبت محاكم التحقيق نجد فيهم ميدان نشاط[3].

شاركان و الصراع مع الفرنسيين:

وقعت بين شارلكان والفرنسيين معركة تعرف بـــ"بافيـــا "، و إنتهت بأسر الملك الفرنسي فرانسوا الأول وتخلت فرنسا عن ميلانو وجنوة ودوقية برغندي إثر معاهدة أبرمت في مدريد ، لكن عادت الحرب من جديد بينهما مابين سنتي (933ه/1526م) و (936ه/1529م)[4]، ولكن فرانسوا الأول إنتقم منه فحاربه بعد إقامة علاقة ودية مع الدولة العثمانية التي دعمته من جهة البحر والنمسا [5]، بعد تنازل شارل الخامس خلفه "فيليب الثاني" عام (964ه/ 1556م)[6]، ووصول سياسة أبيه وقام بحرمانهم من حقوقهم كتحريم استعمال اللغة العربية وارتداء الثياب العربية [7] تسببت بقيام سلسلة من الحروب تحت سياسته ، وأشهرها ثورة الموريسكين التي إندلعت سنة (976ه/1568م) في جبل الbشارات ضد فيليب الثاني بسبب سياسته

---

[1] حسن مؤنس: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، مكتبة الأسرة للأعمال الفكرية ،2004، ص454.

[2] عبادة كحيلة: **المغرب في تاريخ الأندلس و المغرب**، المطبعة الإسلامية الحديثة، القاهرة مصر1997، ص276.

[3] محمد عبدالله عنان: المرجع السابق، ص356.

[4] عادل سعيد بشتاوي: **الأندلسيون المواركة** ، دار مقطم للنشر والتوزيع، القاهرة1983، ص125.

[5] Amédeé pichot: **charler quint**, form et librarie E diteur, Paris, 1854, p55.

[6] عادل سعيد بشتاوي: المرجع السابق، ص126.

[7] محمد عبدالله عنان: المرجع السابق، ص357.

التعسفية إتجاههم[1]، من جهة حقق الأتراك إنتصارات على النصارى و لم يعد بمقدور فيليب مجابهة هذه الظروف لوحده فعين الضون "خوان النمساوي" بقيادة الجيش والقضاء على الثورة سنة (976هـ / أكتوبر 1568م) .

مجمل القول:

كانت إسبانيا عبارة عن ممالك منفصلة وه ي مملكة البرتغال، و مملكة أراجون ومملكة قشتالة، وبهاتين المملكتين الأخيرتين ، تم توحيد أسبانيا (874ه/1469م) إثر زواج الملك الأرغواني فرد ينياند و الملكة القشتالية إيزابيلا وتم في عهد هذين الملكين إسقاط غرناطة آخر معقل للمسلمين و الذي تم فعلا في (897ه/ 1492 م)، كما عرفت اسبانيا، التنافس و الصراع حول زعامة الامبراطورية المقدسة و الذي حصل بين الملك شارلكان و الملك الفرنسي فرنسوا الأول .

أما الوضع الذي تميزت به إسبانيا في عهد فيليب الثاني عام 1556م،باضطهاد مسلمي الأندلس وإنهاء ثورة الموريسكيين، على يد ضون خوان النمساوي سنة (976ه/اكتوبر1568م)ـــ

3) الأوضاع في البرتغال :

- البرتغال في عهد اللك يوحنا الاول (1415م/1457م).
- وضع البرتغال في عهد الملك جيان الثالث (1521م/1558م).
- حالة البرتغال في عهد الملك سيبستيان (1568م/1457م).

-كانت البرتغال إحدى الولايات التابعة لقشتالة ، وفي القرن الحادي عشر أي عهد الملك" الفونسو الأول"، ثم طرد المسلمين من لشبونة ، كما وطدت علاقاتها مع الكنيسة ورجال الدين [2]، كما أعلنت إنفصالها عن مملكة قشتالة، إثر معركة الجوباروتا عن(787ه/ 1385)[3]، على يد الطبقة البورجوازية وجماعات الحرث لرفع "

---

[1] يوسف نكروف: **معركة واد المخازن بين الملوك الثلاثة**، تعريب: وفاء موسى ويشو وحسين حيدر، منشورات عويدات ، بيروت ، ص36.

[2] جلول بن قومار:المرجع السابق ، ص31.

[3] موريس كروزيه: المرجع السابق ، ص449.

" جان دافيس" إلى الحكم ، وأحرزوا إنتصارا على جيش الفرسان القشتالي[1]،وبمعاونة الحكومة البريطانية للملك "دون جوان"، إثر هذه التعاون تم عقد معاهدات مع بريطانيا عام
(1386/05/09م)، بل وإتحدت المملكتان بزواج " الأميرة البريطانية " بالدون جوان [2]، ليتم عام 1411م الإعتراف رسميا بقيام سلالات جديدة ، تأبى أن تكون لقمة سائغة لقشتالة[3] ، أشهرها سلالة من بيت "الأفيز" وهي من أقوى السلالات التي نجحت فعلا في تحقيق الإستقلال عن المملكة قشتالة .

أولاً وفي عهد الملك يوحنا الأول (1415/ 1457م).

بدأ نشاط الكشوفات البرتغالية، وأصبحت أعظم قوة بحرية في الأطلس وظهرت أساطيل بحرية البرتغالية ، وأصبح بشبونة من أهم الموانئ البحرية فقد كانت تتوسط موانئ البحر المتوسط، والمحيط الأطلسي[4]، وصرح قائلا : أن الميدان الحقيقي الذي يكسب فيه أفراد البيت الفخار هو الحرب المقدسة و أعلن وأنه سيمنح وسام الأعظم لمن يجاهد[5]، فأرسل إبنه هنري الملاح (1335 / 1460م) وكله روح صليبية لدرجة حمله للصليب في حملاته على ظهره ومن أكثر حملاته العسكرية هي التي إستولى فيها على مدينة سبته ceptaعام(818ه/ 1415م) في الشواطئ الشمالية لإفريقيا والتي كانت معقلا للمجاهدين المغاربة الذين كانوا يعتبرونهم قراصنة كما حاول أن يستولي على طنجة [6]، ومن هذا العام بدأت البرتغال تغوص في خصم

---

[1] نور الدين حاطوم: **تاريخ العصرالوسيط في أوروبة** ، ط1، دار الفكر، دمشق، سورية 1993م، ج2، ص583.

[2] فالح حنظل: **العرب والبرتغال في التاريخ**، ط1، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي1997م، ص87.

[3] شوقي عطا الله الجمل: **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، ط2، دار الزهراء الرياض 2002م، ص39.

[4] فيج ،جي، دي: المرجع السابق، ص107.

[5] محمد خير فارس: المرجع السابق، ص18.

[6] أشرف صالح محمد السيد: **التاريخ الأوروبي الحديث**،ط1، دار واتا للنشر الرقمي2009م،ص71.

المغامرات البحرية وبدأت التفوق التجاري ودخلت في مرحلة تأسيس المستعمرات والإمبراطوريات فيما وراء البحار وبالإستعمار التدريجي للنفوذ الأوروبي[1] .

كما كرس البرتغاليون جهودهم لإحتلال الشواطئ المغربية من المحيط الأطلسي بل في إفريقيا الشمالية إبتداءا من نهر الشمال ثم الإستيلاء على بلاد غانا[2]، وألف هنري جماعة عرفت بإسم جماعة المسيح، وأشرف عليها [3]، وتنفق هذه الجماعة أموالها في التجارة البحرية وفي الحملات العدوانية على اليابسة ضد المسلمين[4] .

وهنئه بالانتصار البابا نيكولاي فبعث له مرسوم يصف فيه : "...بالجندي القدير من جنود المسيح، الذي سيقضي على أعداء المسيح من المسلمين الكفرة" [5]، وفي عهد الملك ألفونسو الخامس عام 1438م ، كان قد أستفحل الغزو والبرتغالي على الثغور المغربية.

ثانيا- أما عهد الملك جيان الثالث (1521م/ 1558م):

إنحصر نفوذالغزو البرتغالي في المغرب و يعود ذلك لجهود السعديين بحيث فقدوا الكثير من المدن التي كان يسيطر عليها البرتغال .

ثالثا- عهد سيبستيان (1568 / 1578م):

لا يختلف وضع البرتغال في عهد سيبستيان عما كان عليه في عهد الملك جيان الثالث، فقد شهدت البرتغال تدهورا للأوضاع الإقتصادية و الإجتماعية .

إلا أنه ظهرت بعض المحاولات لاسترجاع ما خسره البرتغاليين ، فظهر بعض رجال الدين الذين حاولوا إلهاب الحماس الصليبي في نفوس الشباب ومن الذين سارعوا إلى

---

[1] ميلاد أ. المقرحي: **تاريخ أوروبا الحديث**(1453/ 1848م)، ط1، مكتبة الإسكندرية، منشورات جامعة بنغازي1996م، ص26.

[2] أشرف صالح السيد: المرجع السابق، ص71.

[3] محمد عبده حتاملة: **الإعتداءات الإفرنجية(الصليبية) على ديار العرب في الأندلس والمشرق**، عمان2001، ص32.

[4] عباس حمداني: **دور العثمانين في إكتشاف أمريكا والطرد الجديد إلى الهند**، جامعة وسكانسون، ميلواني، ص02.

[5] عبد العزيز نوار ومحمد جمال الدين: **المرجع السابق** ،ج1، ص59.

ندائهم الدون سيبستيان ، الذي زاد الوضع تأزما إثر خسارته الكبيرة في معركة وادي المخازن عام (986ه / 1578م)[1].

وبذلك نستنتج أن الوضع العام الذي كان يسود البرتغال: الوضع في البرتغال قد ال إلى التحسن إثر تخلصه من السيطرة القشتالية، حيث دخلت في خضم الكشوفات الجغرافيةالأولى، لتشكل بذلك أعظم قوةبحرية في الأطل مابين عامي(1457/1415م) كما بدأت حملاتها الصليبية، على الشواطئ الشمالية لافريقيا ، و إستفحل تواجدهم بها إلا أن الوضع تغير حيث بدأت معالم تدهور وضع البرتغال، حيث شهد تقلص نفوده على الشواطئ المغربية و إزداد الوضع أكثر تأزما في عهد سبستيان (1578/1568م)، حيث فقد معظم الثغور المغربية، بل و مكانتها الدولية .

مما تقدم يمكن القول:

أن الظروف التي عرفتها الضفة الشمالية والجنوبية لحوض الغربي للبحر المتسوسط هي التي رسمت أحداث القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، فالمغرب عرف حالة من الضعف و التفكك، وفقدت خلالها الإمارة الوطاسية قوتها و لم تعد قادرة على التحكم في زمام الأمور، بينما كانت اسبانيا قد تمكنت من بناء قوتها بعد وحدة مملكتي قشتالة و أرغوان، ولا يختلف ذلك في البرتغال حيث إستطاعت هي الأخرى أن تبني قوتها خاصة البحرية من خلال جهود رواد الكشوفات الجغرافية فـإختلال توازن القوى بين هذه الأطراف كان سببا في أن تطغى الدول القوية على حساب الدول الضعيفة، وبالتالي تطلعت كل من البرتغال وإسبانيا القويتين إلى التوسع على حساب المسلمين جنوب البحر الأبيض المتوسط التي كانت تعيش حالة من الضعف خاصة المغرب الأقصى و التساؤل الذي أطرحه ماهي أهم المناطق التي استولت عليها كل من البرتغال و اسبانيا ؟ وهل كان هناك ردود أفعال لصد هذا الغزو؟

[1] محمد الفاسي :المرجع السابق ، ص ص 23-24.

الفصل الأول:

الغزو الإيبيري لمدن المغرب الأقصى خلال القرن (9هـ/15م)

المبحث الأول:

-الحملات البرتغالية على المغرب الأقصى خلال القرن (15م/9هـ).

1 - السقوط المتوالي للمدن المغربية بيد الغزو البرتغالي.

2 - ردود الفعل المغربية على الحركة التوسعية البرتغالية.

المبحث الثاني:

-الحركة التوسعية الإسبانية في مدن المغرب الأقصى خلال القرن (15م/9هـ).

1 - الحملات الإسبانية على المغرب الأقصى.

2 - عمليات التحرير والتصدي المغربية للعدوان الإسباني.

المبحث الأول:الحملات البرتغالية على المغرب الأقصى في القرن (15م/9هـ)

- دوافع الغزوا البرتغالي
- السقوط المتوالي للمدن المغربية بيد الغزوا البرتغالي
- ردود الفعل المغربية على الحركة التوسعية البرتغالية

أولا- دوافع الغزوا البرتغالي:

✓ **الدوافع الدينية :**

كان البرتغاليون يحملون حقدهم وكرههم اتجاه المسلمين ، فباشروا بحملاتهم الصليبية ، حاملين الترعة الكاتوليكية بمباركة البابا لحملاتهم الإستكشافية على العالم الإسلامي [1]، والتي حمل لوائها هنري الملاح والذي إعترف أنه يريد نشر الكاتوليكية بين الأفارقة [2]، فعملوا على تعقبهم خاصة القادمين منهم من الأندلس [3]، بالمغرب بل تشعبهم إلى الأماكن المقدسة بالحجاز، من جهة أخرى كانت البابوية Les Bulles Contificales تشجع على محاربة الإسلام والمسلمين وغزو أراضيهم من خلال ، تقديم إغراءات مالية وجبائية[4] فعملوا على اضطهادهم وبالغوا في نشر المسيحية لدرجة أنهم كانوا يخيرونهم بين الدخول في المسيحية أوالقتل [5]، وأعتبروا من يموت فهو شهيد من شهداء الكنيسة [6]، بل هو واجب عليهم [7].

---

[1] جمال حمدان : **إستراتيجية الإستعمار والتحرر** ، ط1 ، بيروت ، لبنان 1983م ، ص62.

[2] حمد زروق : **دراسات في تاريخ المغرب** ، أفريقيا الشرق ، ط1، 1991م ، ص142

[3] عبد الله عبد الرزاق إبراهيم : **المسلمون والإستعمار الأوربي لإفريقيا** ، عالم المعرفة ،الكويت يوليو1989 ، ص7.

[4] محمد زروق : المرجع السابق : ص7 .

[5] عبد العزيز سليمان ومحمود محمد جمال الدين ، ص 82 .

[6] نفسه: ص 82 .

[7] عبد الله عبد الرزاق إبراهيم : المرجع السابق ، ص 7 .

✓ **الدوافع الإستراتيجية والحربية:**

الظروف المناسبة للانطلاق في المغامرة الإستكشافية [1]، والتي عرفت نجاحا على يد مغامرة المستكشفين والتي من خلالها عرفت توسعا وإمتلاكا واسعا للمناطق المكتشفة[2]

يعتبر المغرب الأقصى أنه من أهم المنافذ البحرية ، فهو يشرف على البحرين المتوسط بحضارته العريقة والمحيط الأطلسي منطلق الأوربيين إلى العالم الجديد غربا وأوروبا الغربية غربا ، وإفريقية الغربية ، جنوبا تحكمه في مضيق جبل طارق[3] .

✓ **الدوافع الاقتصادية :**

حاول البرتغاليون أن يزيلوا خطر المسلمين الذي كان يهدد تجارتهم [4] ، فسعوا إلى محاولة توسيع النشاط التجاري في ضل النهضة التي كانت تشهدها البرتغال [5]، بحيث أنه حلت أزمة أزمة إقتصادية إستترفت كل ثرواتها وكانت التجارة الأكثر تأثرا [6]، بحيث شهدت نقص القمح والطلب المتزايد للسمك والجلود والأصبغة[7]، فحاولوا السيطرة على تجارة الشرق عن عن طريق تحويلها إلى رأس الرجاء الصالح ، والوصول إلى ذهب السودان عن طريق البحر الأحمر وتحويل التجارة عن طريق القوافل إلى الطريق البحر المتوسط[8]، فوجهت أنظارهم إلى إلى المغرب والتي كانت اتزود البرتغاليين بالقمح والحيوانات والعبيدخاصة المنتجات المرغوبة لدى السود، للحصول على الذهب، الخيول [9]، والبحث عن أراضي جديدة صالحة للزراعة

---

[1] نور الدين حاطوم : المرجع السابق ، ص 258 .

[2] جمال حمدان : المرجع السابق ، ص 57.

[3] محمد زروق : المرجع السابق ، ص 142.

[4] جلال يحي : **التاريخ الحديث والمعاصر**، المكتب الجامعي ، الأزاريطة ، الإسكندرية ، ص 65.

[5] عبد العزيز نوار جمال الدين : المرجع السابق ، ص 59 .

[6] محمد خير فارس : المرجع السابق ، ص 19.

[7] نفسه : ص 16 .

[8] أحمد سالم : **السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16**، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية 2001م،ص 68.

[9] محمد خير فارس : المرجع السابق ، ص 20.

قصب السكر ، إضافة البحث عن العبيد في مصافي السكر [1]، فأصبح هناك بالمهادنة الآدمية الآدمية بعد أن كانت مبادلة تجارية أو ما يعرف بتجارة الرقي.

ثانيا السقوط المتوالي للمدن المغربية بيد الغزوا البرتغالي

تعد أولى عمليات الاحتلال البرتغالي للسواحل المغربية منذ مطلع القرن الخامس عشر الميلادي فأقدمت البرتغال على إحتلال سبته يوم الأربعاء منتصف جمادى الآخر 818ه/ 02 أوت 1415، وتطوان عام 1400م، وعلى القصر االصغير سنة (862ه/ 1485م)، وعلى أصيلة و طنجة سنة 876ه/1471م، بينما احتلت إسبانيا في بداية هذا القرن مليلة في سبتمبر سنة (874ه/ 1497م).

إحتلال تطوان : (803ه /1400م) :

إختلفت الروايات حول احتلال تطوان، فمن الروايات تقول: أن تطوان احتلت من قبل الأسبان في سنة 1401م قبل ان يتعرض لها الغزو البرتغالي [2]، ولكن من الروايات من ترجع أن إحتلال الأسبان لها كان سنة 1401م، أي قبل البرتغال الأن الوزان ذكر أن احتلال تطوان كان من سنة 1399م إلى سنة 1400م،حيث قام البرتغال بتخريبها على يد قشتاليين من رعايا الملك هنري الثالث ، لتبقى على تلك الحال مدة تسعين سنة[3] .

إحتلال سبتة :الخميس 15 جمادي الثانية سنة 818هـ (21 أوت 1415) :

بعد تحقيق البرتغال وحدتها القومية،وبناء قوتها الإقتصادية ، سعوا إلى مد نفودهم خارج البحر، والبحث عن مواقع إستراتيجية ، ومحاولة التحكم في المضايق خاصة مراكز إغاثة مسلمي الأندلس [4]، فكانت أولى المحاولات في عهد الملك يوحنا إمحاولته إرسال جواسيس إلى منطقة المغرب على متن سفينتين ، ونقل هؤلاء الجواسيسالأخبار عن أوضاع وأهم مواقع المغرب و لم يكتشف المغاربة هذا الأمر، وبين الملك عن نيته إثر وفاة الملكة والذي تسبب في تعطيل الحملات الصليبية وإنتشار مرض الطاعون ، وفراره إلى الغرب، بحيث لم يعد يبعد عن سبتة إلا خمسين فرسخا، فأعلن هناك جهرا بإحتلاله ومهاجمته

[1] محمد خير فارس : المرجع السابق ، ص 16.

[2] ناصر الدين سعيدوني ، **ورقات جزائرية**، دارالغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، ص135.

[3] حسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، 318.

[4] عبد الهادي التازي : المرجع السابق، ج1، ص160.

لسبتة[1]، ويعود ذلك لموقعها الجغرافي الإستراتيجي، بحيث تقع عن الخليج الرومي المعروف بالزقاق (البحرالأبيض المتوسط) وتقابلها الجزيرة الخضراء وتحيط بها المياه[2]، أي أنها تقع على مرمى السهم من الشواطئ الأندلسية مرسى للفن ومحط الرحال ومقصد الرجال، طوال المدة التي حكم فيها المسلمون في شبه الجزيرة الأيبيرية فهي تتحكم في بحر الزقاق ومجمع البحرين[3].

وبدأ عزم النصارى عليها لموقعها الإستراتيجي و دعا البابا وشجع البرتغاليين على إحتلالها[4] وكذلك يقال أنها وصية زوجة جان الأول قبل وفاته ، وساعدهم على إقتحامها خونة من المكان[5]، بدأت الحملة من ميناء لشبونة، بأسطول ضخم يضم حوالي 240 سفينة، وباغتت المغاربة على حين غفلة مما كان سببا في سهولة غزوها [6]، وكان على رأس الحملة هنري الملاح، بفضل مجهوداته إحتل شواطئ مراكش المطلة على المحيط الأطلسي، وإخضاع هذه الأقاليم، إبتداءا من نهر السنغا ل، وكله رغبة في القضاء على الإسلام والمسلمين [7]، ويذكر السلاوي أنهم أوهموا المغاربة بأنهم يتاجرون فكانوا يأتون بصناديق مغفلة يوهمون المغاربة أن بها سلعا بالمرسى، ويترلونها بالمرسى كعادة العاهدين، وذلك صبيحة يوم الجمعة من بعض شهور سنة ثمان مئة، وكانت الصناديق مملوءة بالرجال وعددهم أربعة آلاف من ال شباب المقاتلة[8].

---

[1] مارمول : المصدر السابق ، ج2 ، ص 218 .

[2] نفسه ، ص 21.

[3] محمد بن القاسم الأنصاري السبتي : **إختصار الأخبار عما كان ثبغر من سبتة من سني الأخبار** ، تحقيق عبد الوهاب منصور ، ط2 ، الرباط 1983م، ص ص 62 -51.

[4] نيقولاي إيفانوف : **الفتح العثماني الأقطار العربية** ، تعريب يوسف عطاالله ، ط1، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان 1988،ص 44.

[5] إبراهيم حركات : المرجع السابق ، ص 72.

[6] شوقي الجمل : المرجع السابق ، ص 44 .

[7] عبد العزيز الشناوي : المرجع السابق ، ص 93.

[8] السلاوي : المرجع السابق ، ج2 ، ص 163.

لقد كان الإستيلاء على سبتة من أول مشاريع هنري الملاح التي أراد أن يحققها [1]، ولقد شارك في حملة جنود بريطانيين متطوعين وألمان وفرنسيين والتي كانت سببا في توثيق العلاقة بينهم[2]، وفي ظل التفكك الداخلي والحروب الأهلية داخل المغرب ، تمكن الإسبان من إحتلال سبتة بسهولة في يوم الأربعاء 21 أوت سنة 1415م/ جمادي الأخرى عام 818هـ[3]، وخرج أهل البلاد مستصرخين بسلطان فاس وعليهم المسوح والشعر والوبر والشغال السود رجالا ونساء وولدانا، فأنزلهم سلاح المسلمين ثم ردهم إلى الفحص قرب بلادهم لعجزه عن نضرتهم حتى تفرقوا في البلاد لأمر الله وحده[4].

بل يقال أن الملك الفاسي أثناء وصوله خبر إستيلاء البرتغال على سبتة كان في حفل و لم يوفقه حتى بعد سماعه للخبر، بل إستمروا في زهوهم والناس يرقصون [5] في حين ظل البرتغاليون يتوجسون خيفة من إنتقام أبا سعد ملك فاس منهم، ولكن هذا الأخير كان لا يكترث لإستعادتها.

إلا أنه كانت هناك محاولات من قبل المرنيين في استرداد سبتة، لكن الحروب الأهلية حالت دون تحقيق ذلك خاصة بفاس [6]، ومن بين هذه المحاولات هي محاولة أقوى الملك المريني الفاسي أبو سعيد عثمان عام 1514م ، وفي معركة طاحنة قتل من جهة البرتغاليين، و لم يستطيعوا بذلك ردع البرتغاليين بعد أن عادوا بزوارقهم ، وفشلوا في إسترداد وتحرير سبتة[7].

ليكون نصرا عظيما للبرتغاليين واعتبروه بداية للعصور الحديثة، عوض الأخذ بسقوط قسطنطينة بيد المسلمين في 1453م بدايـــــة لها[8]،و بذلك حقق البرتغاليون هدفهم في

---

[1] محمد عبده حتاملة المرجع السابق ، ص33.

[2] فالح حنظل : المرجع السابق ، ص87.

[3] محمد بن قاسم الأنصاري السبتي ، المصدر السابق ،ص6.

[4] **أبو** العباس أحمد الناصري : المرجع السابق ، ص164.

[5] حسن الوزان ، المصدر السابق ، ج1، ص 31.

[6] مارمول كاربخال : المصدر السابق، ج2، ص220.

[7] حسن الوزان ، المصدر السابق ، ص318.

[8] شوقي عطاالله الجمل : المرجع السابق ، ص44.

الإستيلاء على سبتة كبداية لامتدادهم خارج البحر، فكانت بمثابة البوابة التي اتخذها البرتغال في التوسع بالمغرب، وخاصة أن هذه المدينة تتحكم في الضيق ، الذي كان مركز إغاثة مسلمي الأندلس فكان من الضروري على البرتغابيين أن يستولوا عليه وخسر المغاربة بدلك أهم مدنها، وعلى اثرها توالت المدن المغربية بالسقوط في يد البرتغاليين ، لنستنتج من خلال دلك مدى الضعف الذي وصل إليه المرينيين خاصة في عهد السلطان المريني الملك الفاسي أبو سعيد عثمان (800ه/1397م) الذي تهاون في الدفاع عن المدن المغربية ، و يظهر ذلك كما ذكرت سابقا في ردة فعله أثناء وصوله خبر إستيلاء البرتغال على سبتة.

إحتلال القصر الصغير 826ه/ 1458م:

لم يتوقف البرتغاليون عن عزمهم في محاولة غزو الثغور المغربية ، بعد إستعصاء مدينة طنجة للإستسلام بسهولة ، و لم يتمكنوا من الإستيلاء عليها إلا بعد أن إستنزفت منهم الكثير من الأموال والجنود، لكن الأمر الذي زاد من تحديه للمغاربة هو الوضع المزري للمغرب الأقصى فقد كانت تعيش فترات ضعف سواءا داخلية أوخارجية ، ولولا وفاة هنري الملاح المفاجئ لكان قد بسط نفوذه بشكل كامل على المغرب .

لكـــــــن هذا لا يعني أنه لم يترك من يواصل عمله فنجد من أمثالهم الملك "ألفونسو الخامس" الذي قرر أن يتم مشروع هنري الاستعماري [1]، فعزم على ذلك وفعلا فقد قاد حملة لاحتلال منطقة القصر الصغيربقوة عظيمة عام (821ه/1453م)، وكان القصر الصغير أهم ميناء فهو موجود في شمال غرب المغرب الأقصى على مضيق سبتةوطنجة ويمكن الإعتماد عليه لتقوية سبتة ومهاجمة طنجة[2].

وكانت الحملة مكونة من 17 ألف مقاتل وأسطول مكون من ثمانين باخرة [3] وفي رواية أخرى تقول أن هذه الحملة مكونة من مائتين وثمانين سفينة قتالية تصل قوتها إلى خمسة وعشرين ألف رجل[4].

---

[1] عبد الفتاح مقدلد الغنيمي : **المغرب العربي بني وطاس و السعدي و ظهور الأشراف** ، موسوعة تاريخ المغرب العربي، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص 77 .

[2] محمد رزوق :المرجع السابق ، ص 144.

[3] ابراهيم حركات : المرجع السابق ص 75 .

[4] مارمول كاربخال : المصدر السابق ، ص 21 .

ولقد كانت هذه الحملة بقيادة ألفونسو و أخيه "دم هنري"و"حفيد دم يسدري" سارت هذه الحملة في طريقها الى القصر الصغير بمائة وثمانيين وثمانيين سفينة شراعية و مكثوا مدة يوم في طنجة في انتظار التحاق السفن الاخرى بهم ، إلا أن الظروف الطبيعية حالت دون تحقبق ذلك ، بحيث اضطر لفونسوا الى تغيير خطته ومهاجمة طنجة ، ولكن قادته اسرو عليه بتحقيق هدفهم الذي رسموه و هو احتلال القصر الصغير.

ولقد كانت دعوى "البابا بيوس الثاني" إلى مواصلة الهجمات الصليبية عام (763- 869هـ / 1458-1464م)، سبب رئيسي في إحتلال القصر وفعلا إحتلوا القصر الصغير عام (862هـ/ 1457م)[1].

لكن هذا لا يعني أنه لم يعترضهم أي خطر فقد عمل المغاربة على محاربتهم ومجابهتهم بكل قوة وروح قتالية ، فقد حاربهاما يقارب خمس مئة فارس مغربي العدو ولكن المغاربة لم يصمدوا طويلا بسبب ضعف قوتهم وطول الحرب خاصة أنه لم يصلهم أي مدد أو عون حتى وإن وصلتهم فقد كان الوضع قد إنتهى بالنسبة للمقاومين المغاربة [2]، أضطر بعض المغاربة للنجاة بأنفسهم فمنهم من فر إلى مدن أخرى ومنهم من لجأ المكوث بالجبال ، من جهة أخرى كان البرتغال قد أعادوا تنظيم أسطولهم والإستعداد للانقضاض على الميناء في ظل هذه الظروف وخيبة الأمل التي يعيشها المغاربة وأعلن الفونسو مهاجمة المدينة ، بعد أن فشل وتأخر المغاربة في تحضينها ، وكان هدفه من كل ذلك هو القضاء على السفن التي كانت تجهز بهذه المنطقة لمحاربة السفن المسيحية[3]، و لم يسلم المغاربة من نيران المدافع محاولين تحطيم تحصينات المدينة وحرقها، لكن محاولتهم باءت بالفشل فانسحبوا وتركوا جثث موتاهم متناثرة جراء الصمود الطويل من قبل المغاربة ، مما اضطر البرتغاليين، إلى القيام بمهاجمة طنجة بالرغم من نجاحهم بحملته على القصر الصغير عام 1458م، بإصرار من القادة الذين كانوا معه بإحتلال القصر أولا، و على إثرها أمر بتجهيز الزوارق للقيام بعملية نزول و بسرعة ثم تصدى المغاربة لهم بالمرصاد [4]، و قد نتج عن احتلال القصر الصغير أن

[1] محمد عبده حتاملة : المرجع السابق ، ص33

[2] عبد الفتاح مقلد الغنيمي : المرجع السابق ، ص 77 .

[3] مارمول كاربخال : المصدر السابق ، ص 214 .

[4] نفسه : ص 214 .

قتلوا العديد من المسيحيين، و جرحوا الكثير منهم ولكن تلاشي قوة المغاربة جعلت لبرتغاليين يطغون عليهم و يخرجونهم بالقوة من المدينة، بعد تحطيم حصونها و إجلاء أهلها منها بعد أن تفاوضوا مع الحاكم البرتغالي في وقف إطلاق النار، وثم لجؤوا هؤلاء الأهالي بعد ذلك الى الجبال و الأماكن التي يلتمسون فيها الأمان، ليدخل البرتغاليين المدينة و حولوا مسجدها إلى كنيسة باسم العذراء ، و أسند حكمها إلى إبن الكسندر فيلا ريال قبل أن يتوجه إلى سبتة[1] .

غزو طنجة :(862ه/1471 م) :

حاول البرتغاليون أن يستولوا على طنجة مرارا وتكرارا بعد غزو سبتبة على يد هنري الملاح وتحصينه للمدينة فأعدو حملة على طنجة [2]، وذلك لموقعها الهام على مستوى المحيط الأطلسي[3]، وكانت الحملة مكونة من ثمانية آلاف جندي ، ووصلت إلى سبتة المحتملة في 27 أغسطس 1473م، وإنقسم الجيش إلى قسمين، قسم بقيادة فرناندو fernand وهذا الأخير إتخذ الطريق البحري، أما الأمير هنري D.Hounriqu فاتخذ الطريق البري لتطويق المدينة[4]، برا و بحرا.

لكن سلطان فاس وسلطان مراكش عاجلهم وأرهقوهم عن فتحها وأوقعوا بهم وقبضوا كبير عسكرهم ، فرناندو وبسجنه بفاس حال دون قيام هذا الشرط وبقية سبتة في يد العدو، ويقول أن صاحب المرآة ذكر أن البرتغال إستولى على طنجة سنة إحدى وأربعين وثمان مئة[5] .

وكذلك محاولة الملك ألفونسو الخامس والتي باءت بالفشل في (12 كانون الثاني / جانفي 1464م)، حيث أقدموا على إحراق الدار البيضاء وتدميرها على شاطئ المحيط الأطلسي في مراكش وبجيش قوامه ثلاثين ألف رجل إستولوا على طنجة وضمت البرتغال الجانب الغربي

---

[1] مارمول كاربخال:المصدر السابق ، ص69.

[2] نبيل عبد الحي : المرجع السابق ، ص 25.

[3] أحمد القاضي المكناسي : **جدوة الاقتباس في ذكر ما حل من الإعلام مدينة فاس** ، دار منصورة للطباعة والوراقة الرباط 1937م ، ص 19 .

[4] عبد الفتاح مقلد الغنيمي :المرجع السابق، ص ص 76-77.

[5] السلاوي : المرجع السابق ، ص 166.

البحري لمراكش[1]، وكان بذلك الإستيلاء على طنجة تسع وستين وثمان مئة، وبقيت تحت أيديهم وأمنهم مئتين وخمسين سنة، ثم بذلوها لطاغية الإنجليز عام أربعة وسبعين وألف[2]، بعد إحتلال أصيلا عام (862ه/1471م) فتعززت وضعية البرتغال في شمال المغرب وقويت أماني ملوك لشبونة في اتخاذ هذا المركز فقط لاحتلاله داخل البلاد[3] .

وهكذا نستنتج أن البرتغاليين قد أصروا على إحتلال طنجة، لأنها كانت تعتبر قاعدة بلاد المغرب، وأم مدنه، فلم تكن هناك أي مدينة أعظم منها قي ذاك الوقت وكان البرتغاليون مدفوعين بالروح الصليبية و التي زادت إثر فشلهم في الحملة الأولى عام 1436م ، و التي تصد لهم فيها المغاربة بكل قوة، بالرغم من لظروف الصعبة و تمكنهم من أسر فرناندوا الإبن الرابع و الأصغر للملك جوان الأول الذي لم يتمكنوا من إسترجاعه ، بعد أن إشترط عليهم المغاربة إطلاق صراحه مقابل تسليم سبتة، فلم يقبل البرتغال شروطهم ، بينما بقي فرناندوا أسيرا لدى المغاربة، بينما أقبل البرتغاليون على محاولة الإستلاء على الميناء الصغير وذلك في عهد الملك ألفونسوا عام 1458م، لقربه من ميناء سبته الإستراتيجية و الأمنية .

غزو أصيلا (826ه/1471م):

عرفت مدينة أصيلا بوقعها الممتاز، و غنائها بالثروات بسبب أراضيها الخصبة ومن خلالها كان العرب يجهزون منها سفنهم الحربية، و يجتاحون بها الشواطئ المسيحية وقد عرف البرتغال أهميتها، فعزم ألفونس الخامس ملك البرتغال على انتزاعها من أيدي المغاربة، حتى يؤمنوا المؤن و المحمولة إلى سبته .

الحملة : حشد ألفونسو اسطولا مكون من مائتي سفينة كبيرة و صغيرة، وانطلق بها من لشبونة مع ألف مقاتل بصحبة ابنه ، فوصل الى أصيلا ليلا، و أمر "دم ألفاروا دي كاستروا " و "دم يوحنا كوتينوا "، بالنزول بجنوبها، وكان البحر هائجا ما صعب الأمر عليهما، خاصة إثر هلاك الكثير من جنود ألفونسوا و إبنه إثر إقتفاء أصر هذين الرجلين ما لا يقل عن مائتي شخص، أقام معسكره وحصنه فحين أنه لم يخرج من المدينة أحد [4]

[1] نيقولاي إيفا نوف : المرجع السابق ، ص 44.

[2] السلاوي : المرجع السابق ، ص 168.

[3] مارمول كاربخال :المصدر السابق ، ص 168.

[4] نفسه : ص ص198-199

بينما قام بقصف المدينة بمدفعين أحدث شقين كبيرين بسور المدينة، ودام القصف ثلاثة أيام ، وفي اليوم الرابع رفعت الراية البيضاء علامة على الإستسلام لطول الحصار، وخرج منها مغربي يعلم "دم ألفاروا" بالإستسلام، إلا أنه أثار إستياء بعض الضباط لحمائهم من ثمرة الغزوا فقامت جماعة بالتحرش بهم ما بعد أن صعدوا إلى التلة التي كانت مكشوفة، ما أثار استياء المغاربة فسارعوا إلى التصدي لهم، لكن المهاجمين دحروهم بشدة ليتوجه الملك وابنه وسارعوا إلى تسلق سور المدينة، ودخلوها و فتحوا أبوابها ومنعوا أهلها من الفرار وحاصروهم،وقام على اثرها الملك "دم ألفاروا"، بتحطيم باب الجامع، إنتهت المعركة بقتل "الكنت دي ماريالفي"، و تبعوا من بقي منهم في القصر الذي كان محصنا بالمؤن والعدة واقتفى الملك أثرهم ووقعت معركة دامية بينهم، فقد فيها الملك العديد من جنوده وخسر الملك ألفونسو خيرة رجاله "دم الفاري" بعد أن حز رأسه أحد المغاربة وانتهت المعركة بأسر الاف من المغاربة ، منهم امرأتان وابن وابنة لمولاي الشريف الوطاسي البرتغاليين بالرغم من الإنتصار الذي حققوه إلا أنه تكبدتهم خسائر بشرية كبيرة، تمكن الملك من إسترجاع خمسين أسيرا مسيحياحصوله على غنائم كثيرة تقدربثمانمائة الاف مثقال، تبرع بها على الجنود[1].

إحتلال العرائش :

العرائش هي مدينة تشكل حاجزا ضد مسيحيي طنجة وأصيلا [2]، لهذا كانت في خطر دائم،و تخوف المغاربة الشديد من مباغتة العدو المسيحي لها، كان مغاربة العرائش يشنون هجوماتهم على الشواطئ المسيحية عام **1504**م، تمكنوا من الأستلاء علي أربع سفن برتغالية من نوع كرافيل تحمل مؤن علي الحدود مما أثار غضب "دم يوحنادي منيسيس"، الذي باشر بلإبحار بجنوده الأشداء في أربع كرافيلات واتجه بهم نحو العرائش بعد أن أرسل خمسة فرسان في البر، وزورق يسير محاذيا على طول الشاطئ لمعرفة الأوضاع ، وفي قت الفجر حمل كرافيلاته الأربع إلى منصب النهر،وكانت سفينة العامل علي اليابسة قرب الحصن[3]، وأعلن حراس السواحل المغربية انذارا وبدأوا القصف بالمدافع، وخطط دم

[1] مارمول كاربخال : المصدر السابق، ص 201.

[2] نفسه: ص 188.

[3] نفسه : ص 189.

"يوحنا دي منيسيس"وأمر بحشوا أدى كرافيلاته بفرش و أكياس من الصوف، لإيهام المغاربة بها ، بينما باقي السفن واصلت سيرها و اجتازت بكل سهولة ، ونزلت الحملة على سواحلها، بينما خرج المغاربة للتصدي لها، بينما قام المسيحيون باحاق السفينة الحربية المغربية التي كانت تقدفهم بعنف، و تمكنو ا من سحب الغليوطات الخمس، وأحد الكرافيلات التي اخذها امغاربة و ساقوهها الى أصيلا، ونجحوا بذلك من غزوها.

محاولة غزو القصر الكبير :

عزم كل من" دم خمينيس"، و إبن أخيه على أن يشنا غارة على أبواب القصر الكبير، فانطلق في منتصف الليل باربعمائة فارس، بعد مغادرة الحرس المدينة مع العامل فلم يعد للسكان حامي لهم، في حين قام العامل وبصحبته لعض الجنود بمقاتلة العدوا بكل شجاعة ، فإذا برئيسي المسيحيين يخفضان رمحيهما و يتقيان بترسيهما، حاملين عليهم بشدة، إلى أن هزموهم، وطردوهم من على أبواب المدينة، وقتلوا منهم اكثر من مائتين ويرد السكان فتح أبواب المدينة، وكانوا يصيحون على قومهم أن يولوا وجوههم ليحملوا على النصارى، الذين كانوا في إضطراب، الشيئ الذي أرغمهم أن يولوا وجوههم شطرهم، فوجدوا المسيحيين متفرقتين، فقتلوا و جرحوا منهم الكثير و التحق الرئيسان بباقي الجنود لأقصى ما أمكنهما من جهد، وعادا إلى أصيلا منكسران يحملان ديول الإنهزام[1].

إحتلال مدينة أنفا : (872ه/1468):

تبعد هذه المدينة عن الشمال الأطلسي إلا ستين ميلا، تحدها من الشرق أزمور التي لا تبعد عنها هي الأخر ى، إلا ستين ميلا، وكانت مقرا للقرصنة التي كانت تنهب السفن التجارية البرتغالية، وتغيير على شواطئها الساحلية، و تقوم بعمليات السطو و تخريب جزيرة قادس، ما تسبب في قيام الملك البرتغالي باحتلالها، وقاد حملته اتجاهها ، لكن المغاربة دهشوا من قوة هذه الحملة ، ما اضطر بعضهم إلى الفرار واتخد كل منهم طريقه، فمنهم من إستقر بالرباط، ومنهم من إتخد سلا مقرا له، و أبقوا المدينة خالية، بينما كان قائد الحملة البرتغالي ينتظر على أهبة الإستعداد لمواجهتهم ، لكنه لم يخرج له أحد، فأدرك أن المدينة خالية من

[1] مارمول كاربخال : المصدر السابق ، ص190-192.

سكانها، فأمر جنوده بالنزول إلى البر و دخول المدينة، و بادروا بنهب و تخريب المدينة لتبقى مكانا مهجورا و مأوى للبوم و الغربان[1].

ثالثا- ردود فعل الوطاسيين ضد الغزو البرتغالي:

العلاقات العدائية :

إثر الضعف الذي عرفه المغرب في ظل حكم بني وطاس، بادرت دول شبه الجزيرة الأيبيرية بغزو سواحلها (البرتغال وإسبانيا) مطلع القرن الخامس عشر الميلادي التاسع الهجري فتمكن البرتغاليون من الإستيلاء على كل من سبته(876هـ/1415م) والقصر الصغير(863هـ / 1458م)، وطنجة(876هـ/1471م)، أصيلا (876هـ /1471م) وكانت كلها على مقربة من مضيق جبل طارق أو تشرف عليه ، ثم قام البرتغاليون بتخريب مدينة انفي عام (874هـ/ 1469م) ثم بعد ذلك على مدينة العرائش و القصر الكبير، ولكن هذا لايعني أنه لم تكن هناك مقاومة ضد الغزو البرتغالي، بل كانت هناك محاولات يبدلها الوطاسيون رغم العجز و الضعف الذي أصابها نتيجة التفكك والتجزؤ و الفتن الداخلية بسبب:

إن تماطل الوطاسيين في الدفاع عن المدن المغربية التي استولى عليها الغزو البرتغالي يعود للصراع الوطاسي السعدي ، الذي حال دون مقاومة البرتغاليين خاصة في عهد السلطان أبي العباس أحمد الوطاسي (932هـ/1525م)، في موقعة بو عقبة بوادي العبيد و إنتهت بانهزام الوطاسيين، وإنسحاب أبي العباس إلى فاس، و توقيع معاهدة صلح تسمح بمد نفوذ السعديين من تادلا إلى المغرب الأوسط.

دفاع الوطاسيون عن الثغور المغربية ضد الغزو البرتغالي:

نصرتهم ودعمهم لمسلمي الأندلس ضد الممالك المسيحية في عهد السلطان يعقوب بن يوسف (685 هـ /1286م).

محاولة محمد بن محمدالشيخ (910هـ /1504 م)،في مقاومة البرتغالين[2]، محاولات من قبل المرنيين في إسترداد سبتة، لكن الحروب الأهلية حالت دون تحقيق ذلك خاصة بفاس [3]، ومن

[1] حسن الوزان ، المصدر السابق ، ص ص309- 310 .

[2] علي محمد شحاته رية : المرجع السابق، ص40.

[3] محمد الفاسي : "**إحتلال البرتغاليين للثغور المغربية**" ، **مجلة دعوة الحق**، المغرب أوت 1978،ص23.

بين هذه المحاولات هي محاولة أقوى الملك المريني الفاسي أبو سعيد عثمان عام 1514م، وفي معركة طاحنة قتل من جهة البرتغاليين، و لم يستطيعوا بذلك ردع البرتغاليين بعد أن عادوا بزوارقهم ، وفشلوا في استرداد وتحرير سبتة[1].

ليكون نصرا عظيما للبرتغاليين واعتبروه بداية للعصور الحديثة، عوض الأخذ بسقوط قسطنطينة بيد المسلمين في 1453م بداية لها[2].

تحرير مرسى أزمور من قبضة البرتغاليين :

في أثناء إستيلاء البرتغال على المرسى أزمور أثار إستياء الملك الوطاسي، فقاد حملة ضدهم و حاصر المرسى، و وإلى البرتغاليين بالهجمات، و لطول حصارها بدأ الأمر يصعب على البرتغاليين، مما دعا بهم الأمر إلى توجيه أنظارهم نحو الشمال و إحتلال نهر سبوا ليسهل عليهم القضاء على فاس عاصمة الدولة المرينية الوطاسية، و لإبعاد خطر الوطاسيين عليهم، و يتسنى لهم التوسع في المغرب وبادروا بتوجيه حملتهم نحو فاس مكونة من 8الاف مقاتل و إحتشدوا في المعمورة ، كمركز إستعداد جيوشهم للإنطلاق نحو فاس.

الدفاع عن فاس :

رد فعل بني وطاس أثناء محاولة البرتغاليين الاستيلاء على عاصمتهم فاس جهز الوطاسيون أنفسهم متحمسين، وخرجوا من فاس، إلى المهدية وشنوا عليها غارة قوية ، و لم يستطع البرتغاليون مواصلة المقاومة فمات منهم أربعة الآلاف من البرتغاليين، بينما فر من بقوا من البرتغاليين في شهر يوليوز، و تمكن الوطاسيون من إغراق الكثير من سفنهم .

عهد محمد الشيخ (910-876هـ /1505-1471م):

كان هم محمد الشيخ أثناء توليه الحكم هو إنقاد ما يمكنة انقاده من المناطق المحتلة على يد الغزاة الأجانب، فتمكن من الإستيلاء على فاس ،ثم عقد هدنة مع(876ه/ 1465م) النصارى البرتغال بسبب إستيلائهم على أصيلا ، ثم يتفرغ لفتح فاس، وفي عهد الملك ألفونسوا من نفس السنة تمكن من تأسيس شفشاون[3]

[1] حسن الوزان : المصدر السابق ، ص318.

[2] شوقي عطاالله الجمل : المرجع السابق ، ص44.

[3] محمد الفاسي : المرجع السابق ، ص 23.

لكن ظهرت حركات إنفصالية رفضت هدنة الشيخ محمد الوطاسي، و إنفصلوا عنه وقاموا بمضايقة الجيش البرتغالي الموجود بأصيلا إلى أن تمكنوا من تحطيم عدد من سفنهم كما ظهرت محاولة حسن المنظري بتطوان في مقاومة الغزو البرتغالي على سبتة 1415م[1] وذكر الوزان أن الملك الوطاسي لم يبالي في البداية من إحتلال سبتة بحيث أنه كان في حفل راقص، كما حاول محمد الشيخ عام (881هـ/ 1476م)، أن يهاجم البرتغال في سبتة،و تمكن من طرد البرتغاليين من وادي اللوكس سنة (895هـ/ 1489م)، كما ظهرمن سلاوتطوان مجاهدون لمنع البرتغال من إحتلال القصر الكبير سنة(903هـ/ 1503م)[2].

الدفاع عن أصيلا و إسترجاع المعمورة :

حاول أبي عبد الله تحرير أصيلا (914هـ/ 1509م)، و إستطاع أن يقتحم المدينة، لولا النجدات التي وصلت الى البرتغاليين، ففشل في استردادها، و كذلك لم يوفق في استرداد طنجة بعد سبع سنوات، وفي سنة 1415م قام بتخريب رباط تيط مكان لجوء البرتغاليين، و في سنة 1514م تمكن من إسترجاع أصيلا بعد عدة محاولات فاشلة .

كما إستطاع أن يسترجع المعمورة من يد البرتغاليين عام926هـ.

ويذكر السلاوي : "أن المغاربة في عهد محمد الشيخ الوطاسي، قد تباروا في الجهاد و القتال وعملوا على مقارعته، و منازلته نصرة للدين، وأستشهد أقوام، واسر آخرون، و نظمت لذلك أشعار و تأليف، على من استشهدوا ...في سبيل الله..."[3].

إسترداد طنجة :

حاول المغاربة استرداد طنجة لأنها كانت تعتبر أهم قاعدة في المغرب ، بل كانت أم المدن وأعظمها، أعد المغاربة حملتهم و قاموا بمحاصرة البرتغاليين إلى أن وهنوا فاضطروا إلى الإستسلام وقاموا بأسر فرناندو الإبن الرابع و الأصغر للملك جوان الأول، و شقيق الملاح وشرطوا على البرتغاليين أن يسلموهم سبتة ، مقابل إطلاق صراح الملك، لكن البرتغاليون تخلوا عن ملكهم و أبقوا سيطرتهم على سبتة .

---

[1] إبراهيم حركات :المغرب عبر التاريخ ، ص ص196-197.

[2] نفسه : ص200.

[3] السلاوي : المرجع السابق ، ص179.

الدفاع عن القصر الصغير :

قام المغاربة بحملة قوامها خمسمائة 500فارس مغربي، وعدد من المشاة لمقاتلة البرتغاليين وتمكنوا من قتل الكثير منهم، و جرح العديد من المسيحيين[1]، لكن العجز و الوهن بدأ يفتك بقوة الوطاسيين جراء ما خسروه في حروبهم، و قلة المؤن .

لقد حاول الوطاسيون الدفاع بقوتهم المحدودة، والوقوف في وجه الغزو البرتغالي الذي كان يزداد قوة وحماسا، في حين بدأ العجز و الوهن يفتك بقوة الوطاسيين، جراء طول هذه الحرب التي إستنزفت قواهم، وقلة المؤن لديهم وهذا ما سيحتم على الوطاسيين محاولة اللجوء إلى القيام بعلاقات سلمية وهذا ما سأتناوله في العنصر الآتي .

ب –العلاقات السلمية بين الدولة الوطاسية والبرتغال:

بالرغم من الصراعات المحتدمة بين الوطاسيين والبرتغاليين، إلا أن هذا لم يمنع من وجود بعض العلاقات شبه سلمية تميل الى المهادنة و التعاون ، و نذكر بعضها بشكل مختصر.

منطقة تيط:

قبل أهالي هذه المنطقة الخضوع للحكم البرتغالي، وفضلوا التفاوض مع القائد البرتغالي فيما يخص دفع إتاوة، مقابل أمنهم، و مقابل أمنهم وسلامتهم [2]، لهذا ظلت خاضعة لمدة طويلة للحكم البرتغالي[3].

ولا يختلف الحال في **منطقة السبيت**: كانت هذه المنطقة تابعة لإقليم أزبور ، عرفت بثرواتها الطبيعية وعرف سكانها بتجارة العسل والشمع، التي يتاجرون بها في مراكش، ويتعاملون مع تجار أوربا واثر وقوعها في يد الإحتلال البرتغالي، قبلوا دفع الإتاوات إلى حاكمها ضمانا لسلامتهم و أمنهم[4].

أما فيما يخص المراسلات فقد كانت مصلحية، يحاول كل طرف أن يحقق بها مصلحته ومن أشهر **المراسلات**:

---

[1] عمار بن خروف: العلاقات السياسية ...، ص68.

[2] حسن الوزان: المصدر السابق، ص152.

[3] مار مول كار بخال: المصدر السابق، ص 85.

[4] نفسه: ص 101.

رسالة بين محمد البرتغالي الوطاسي والملك البرتغالي ايمانويل لأول" AMMANWEL" كانت بتاريخ 23 جمادى 920 الموافق ل 24 يونيه/21 أوت عام 1514م. حيث طلب الملك الوطاسي الملك البرتغالي ان لا يتعرض له، ولكن الحاكم البرتغالي لم يرد له، فأرسل رسالة ثانية في 28 ذي القعدة 920ه الموافق ل 14 جانفي 1515[1].

ورسالة من الأمراء الوطاسيين للحاكم الاسباني يطلبون فيها تقديم يد العون لمحاربة السعديين، أشهرها الرسالة التي بعث بها"أبو حسون"ملك بادس الى "شارل الخامس" بتاريخ 3 فيفري 1549م/ محرم 956ه[2].

[1] عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ص 247.

[2] نفسه : ص 262.

المبحث الثاني : الحركة التوسعية الأسبانية في مدن المغرب الأقصى في القرن 15 م/9هـ:

- دوافع الغزو الاسباني
- الحملات الاسبانية على المغرب الاقصى
- عمليات التصدي و التحرير المغربية للعدوان

أولا دوافع الغزو الاسباني :

تعددت دوافع اسبانيا لاحتلال المغرب الأقصى، وأغلب الباحثين يرجعها إلى الدوافع الدينية و أنها السبب الرئيسي في غزو بلدان شمال أفريقيا وأهملوا الأسباب الأخرى التي أدت إلى تنشيط الحملات التوسعية الاسبانية، والتي لا يمكن أن نغفل عنها و المتمثلة في الدوافع السياسية و الاقتصادية و الإستراتيجية و العسكرية ، وقبل ذلك نتطرق إلى الدوافع الدينية :

✓ **الأسباب الدينية :**

وذلك لما لعبه ملوك الكاثوليك و رجال الدين الأسبان في مباركة وتشجيع بل إعداد للحملات الإ سبانية[1]، كما أيدت البابوية الملوك والأمراء سواءا في إ سبانيا أو البرتغال وقدمت لهم مبالغ ضخمة لإنفاقها في حملاتهم ضد السواحل المغربية و اعتبرت كل من يموت في هذه الحروب شهيدا[2]، ومن أشهرالبابوات نجد الأب الكسندر السادس المتصلب الذي بارك جهود الملوك الكاثوليك، و حث على ضرورة الحرب الصليبية ضد المسلمين أثناء قيامه مراسيم بابوية فنستي 899-889هـ/1493/1494م، كما طالب بدفع ضريبة الصليب[3]،كما لا ننسى الدورالذي لعبه الراهب "توماس دي تركو يمادا "في غرس روح التصلب ضدالكفرة (المسلمين) والتي كرست كل حياتها في خدمة المسيح و مقاتلة المسلمين أينما وجدو، بل تمكنة من إقناع زوجها بفكرة هذا الراهب قائلة : "إن حب المسيح و العدراء، جعلني أمبل لإرتكاب الأعمال المؤدية إلى البؤس والشقاء وخراب البلاد و

[1] يحى جلال: **تاريخ المغرب العربي** ، دار النهضة العربية ، بيروت 1981م، ج3، ص18.

[2] عبد الله عبد الرزاق: **المسلمون و الإستعمار الاوربي لإفريقيا** ، عالم المعرفة ، الكويت يوليو 1989م، ص07.

[3] الشافعي درويش:**علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع إسبانية خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر ميلادي** ، رسالة ماجستير ، المركز الجامعي بغرداية 2011/2010م، ص16.

الملك"[1]، بل إنه بعد وفاتها عام 1505م ، كانت قد تركت حقدها اثر وصيتها لورثتها حيى يرثوا الحقد منها داعية إلى السيطرة على شمال إفريقيا من جبل طارق الى طرابلس قائلة :"أنه لاينبغي وقف إحتلال إفريقيا، ولا إنهاء صراع ضد الكفرة "المسلمين"، من أجل المسيحية"[2]، وهي الأمنية التي حققها لها الراهب خمينس بحيث عمل هذا الأخير على حمل لواء القتال في سبيل الدين ضد الكفار حسب زعمه و أصر على في مقاتلة المسلمين و محاولة السيطرة المنطقة المغربية[3].

الدوافع السياسية :

إن الرغبة الملحة لدى اسبانيا في توسيع نفوذها على الحوض الغربي للمتوسط ، بهدف تزعم العالم المسيحي، فعملت اسبانيا على الحصول بقدر المستطاع أن تحتل بعض سواحل المغرب الإسلامي[4]، حتى يسهل عليها السيطرة على أكبر مستعمرات لها، وتتخلص من منافسة الدول لها، و ليتسنى لها مواجهة أكبر قوة منافسة لها، ألا وهي الدولة العثمانية، التي اصطدمت بمنافستها لها في الحوض الغربي للمتوسط، إلا أن إسبانيا دخلت في مرحلة حالت دون تحقيقها للهدف إثر دخولها في ظروف دولية صعبة ودخولها مرحلة الكشوفات الجغرافية و إكتشافها للعالم الجديد، ما جعلها تغيب في تلك الفترة عن ساحة الأحداث و لم يكن لها بسط لنفوذها بشكل كبير.

إذن بالرغم من غيابها عن ساحة الأحداث إلا أنها حافظت عن بعض حاميات الساحلية مثل سبتة ومليلة[5]، كما أنها لم تخفى عنها الأحداث التي كانت تجري في المغرب الإسلامي خاصة المغرب الأقصى.

---

[1] محمد علي قطب : **مذابح و جرائم التفتيش في الأندلس** ،د ط، د ب، 9جمادي الثاني 1406ه/ 28فبراير1985م ص120.

[2] HNRI D .Degrammont: Op.cit, p05.

[3] أحمد توفيق المدني : **الحرب الثلاثمائة بين الجزائر و اسبانيا (1492-1792م)**، دار البصائر ، ط1، الجزائر ، 2007م.

[4] عبد الجليل التميمي ، **الولايات العربية و ماصادرها و وثائقها في العهد العثماني**، جمع و تقديم التميمي عبد الجليل تونس، 1984م، ص74.

[5] أحمد توفيق المدني :المرجع السابق، ص 77.

الدوافع الاقتصادية :

تعتبر الدوافع الاقتصادية هي الأخرى من أهم الدوافع الغزو على السواحل المغربية منها:

وقعت اسبانيا في أزمة اقتصادية و اجتماعية جراء طردهم لمسلمي الأندلس الذين كانوا يعتبرون الدعامة الاقتصادية، و الذين ذكرهم ستالييني قائلا :"...و لكن الأسبان لم يدركوا أنهم قتلوا الإوزة التي تبيض بيضة من ذهب كل يوم ...و لم يبلغ عصر فرديناند و إيزابيلا ولا إمبراطورية شارل الخامس الاوج الذي بلغه المسلمون في الأندلس..." [1]، وهذا ما أثبته هولبير تشانو قائلا:"...من المحتمل أنه من العوامل الأخرى التي أثرت في تردي الأحوال الاقتصادية طرد الموريسكيين ..." [2]، قيام النهضة الأوربية وظهورالقوميات، والطبقات الإقطاعية التجارية التي تصبو إلى السيطرة على الطرق المؤدية إلى الصحراء، إلى بلاد السودان، وطرق سواحل المحيط الأطلسي المؤدية إلى بلاد الهند[3].

الدوافع الإستراتجية:

لقد حاولت اسبانيا حماية سواحلها من الأخطار العربية من خلال تأمين قواعد لها في المغرب الإسلامي[4] وذلك لما تحتله من موقع استراتيجي هام فهي منطقة اتصال بحري هامة جدا، ومن خلال السيطرة عليها ستتمكن من تأمين سواحلها و نشاطها في الحوض خاصة اثر تعرضها أحيانا إلى هجمات من قبل البحارة المسلمون قصد تخويفهم ، و انتقاما لما حدث للأندلسيين، فعملوا على مهاجمة سفنها التجارية و موانئها[5].وبطبيعة الحال الرغبة الرغبة الملحة على بسط سيطرتها على المواقع الإستراتيجية وهدا ما صرح به الملاح

---

[1] ستالييني لين بول : **قصة العرب في أسبانيا**، تع علي الجارم بك ، دار المعارف، مصر ، 1944م، ص159.

[2] أنطونيو دو مينيغيزتز و برناد بنثنت: **تاريخ مسلمي الاندلس**، تع العال صالح طه ، ط1، دار الاشراق، قطر، 1988م، ص ص254،255.

[3] عبادة كحيلة:المرجع السابق، 145.

[4] عبد الرحمان الجيلالي :المرجع السابق، ص35.

[5] HEnri. De grammont : Op. c; it. Pp3,4.

البرتغالي فاسكو ديغاما أثناء وصوله لرأس الرجاء الصلح قائلا:"...فكان احتلال المواقع الإستراتجية في هذه الفترة ضرورة ملحة يجب تحقيقها "[1].

محاولة إسبانيا القضاء على من تسميهم بالقراصنة، وهم الأندلسيون الدين طردوا أو الفارين من اضطهاد أسبانيا خاصة من طرف الملوك الكاثوليك [2]، خاصة على يد إيزابيلا وزوجها فرديناند، اللذان عزما على إنهاء الوجود الإسلامي بالأندلس، و ملاحقتهم، حتى تبعد الخطر عن ما يهدد تجارتها و هذا ما جعل اسبانيا تضفي على حملاتها الصليبية، ولتتمكن من تطويق المسلمين[3].

الدوافع العسكرية:

بعد عمليات طرد مسلمي الأندلس، وفرار آخرين إلى السواحل الإفريقية التي لم تسلم من غارات الأسبان بحجة القضاء على الأندلسيين، إلا أنه في حقيقة الأمر كانت تصبو إلى بسط نفوذها على السواحل الأفريقية لما لها من أهمية كبيرة وقوة عظيمة، فقد كان باستطاعة المغاربة ضرب سواحلها وقنبلة مدنها، فقامت بمحاولة وضع حاميات عسكرية لها لتضمن سواحلها، فاحتلت المرسى الكبير سنة(911ه/1505م)، ثم حجر باديس عام (914ه/1508م)، لتكون من أولى المناطق المستهدفة [4]،وواصلوا غاراتهم على السواحل البحر المتوسط فتمكنوا من احتلال سبته عام 1415م، و في عام (903ه/1497م) تمكنوا من احتلال مليلة، ثم توجهت أنظارهم إلى السواحل الأطلسية بدءا بسلا [5]، وهكذا بدأت تتوالى المدن المغربية بالسقوط واحدة تلو الأخرى ومن المدن من أعلنت طاعتها وولائها نتيجة الهجمات المكثفة والقاسية التي انهالت عليها في ظل ما كانت تشهده هي الأخرى من ضعف وتفكك، إلا أنه هناك مدن ألغمت على الخضوع لها بالقوة، وبهذا تتمكن من

---

[1] إسماعيل العربي : **تاريخ الرحلة و الاستكشاف في البر و البحر**، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986م.

[2] صالح عباد: **الجزائر خلال العهد التركي (1541-1830م)** ،دار هومة للطباعة و التوزيع، الجزائر 2005م، ص21.

[3] عبد الله عبد الرزاق:المرجع السابق، ص07.

[4] يحي بوعزيز : **علاقات الجزائر الخارجية مع دول المماليك و أوربا (1500-1830م)** ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1980م، ص12.

[5] مولاي بلحميسي : المرجع السابق، ص137.

إنهاء خطر اعتداءات القرصنة على ممتلكاتها الاسبانية [1] والغريب في الأمر أن اسبانيا انحصر وجودها في السواحل، واكتفت بهده المناطق، بخلاف البرتغاليين الدين تمكنوا من الدخول في أغوار المغرب الأقصى، وقد يكون أحد أهم أسباب فشل سياستها الاستعمارية .

و تبقى معاناة الأندلسيين في أسبانيا جاء الاضطهاد الذي تعرضوا من قبل محاكم التفتيش [2] أما الذين فروا فقد فروا من التنصير الذي فرض عليهم وهذا ما رأ يناه في سياسة الملكين الكاثوليكيين، حيث تعرضوا للتنكيل، حيث أحقت مصاحفهم و كتبهم علانية[3]، و بالرغم من هذه السياسة التي اتبعها الاسبانيين في محاولة تنصير الأندلسيين ، الا أن هذه السياسة لم تلقى النجاح بل تمسكوا بدينهم و فرو بعيدا عن بطشهم الى بلدان المغرب الإسلامي خاصة المغرب الأقصى.

ثانيا–الحملات الاسبانية على المغرب الأقصى :

لم يكتف الإسبان بطرد المسلمين و إضطهادهم، بل واصلت حملاتها العسكرية على السواحل إفريقيا وتمكنت خلال القرن 15م/9هـ، من إحتلال تطوان عام (1400م /803هـ)، ومليلة عام 1431) .

إحتلال مليلة عام(1497م) :

أحتلت مدينة مليلة قبل مدينة حجر بادس 1508م،يعود سبب غزوها إلى بعض الأسباب منها :

لأن سكانها الذين يشتغلون بالملاحة ن يعتبرون على الشواطئ المسيحية بالسفن الحربية فكانوا مصدر خطر على الاسبانيين، فباشر الملكان الكاثولكيان بحملتهما عليها وقاد الحملة "دوق مديته سيدونية"، ولما علم المغاربة بذلك إستنجدوا ملك فاس الذي أرسل اليهم خمسمائة (500) رجل للحراسة ، ولما أدرك المغاربة المسيحيون إلا أن الدوق قام باصلاح

[1] جون بول وولف: المرجع السابق، ص ص27- 26.

[2] عبد الرحمان علي حجي : **المرجع السابق** ، ص965.

[3] جوزيف ماك كيب : **مدينة المسلمين في إسبانيا** ،محمد تقي الدين الهلالي، ط2، مكتبة المعارف، الرباط 1405م/1985م، ص107.

ما أفسدوه و حصنها في نطاق أصغر و شيد بها قلعة للحراسة ، بينما لجأ سكان المغاربة الى مدينة فاس[1] .

وأثناء تولي" ألفونس دوريا" حكم مدينة مليلة، ولكنه وقع هو الاخر في صراع مع المغاربة الذين اتفقوا على إغارته، لكنه خرج مسرعا من المدينة بخمسة و عشرون (25) فارسا، ومائة وخمسين (150) من رماة البنادق، وباشر باطلاق النار على المغاربة وبخطته المحكمة تمكن من قتل أكثر من مائتين (200)من المغاربة، وجرح مائتين (200)وأسرخمسةوعشرون(25)52شخصا ، وكاد أن يقتل الحاكم في هذه المعركة، وإنهزم المغارة أشد هزيمة[2].

ثانيا- عمليات التحرير والتصدي المغربية للعدوان الإسباني :

إن تمادي الإسبانيين في الإستيلاء على الثغور المغربية ، أثار استياء المغاربة والقيام بردود فعل:

في عهد بني مرين :

ففي عهد يعقوب بن عبد الحق سنة 658هـ قامت ثورة سيلا دفاعا عن المدينة [3]، ولكن الهجوم المتوحشين والمعاملة القاسية التي انتهجها الإسبانيين، أحداث توقف بلدان المغرب وإضطرت معظم المدن إلى اللجوء الصلح وإعلان الولاء والطاعة لها ، بينما أرغمت مدن أخرى على إقامة حصون بها بأمر من الملك فردنياند، حتى يحفظ الممتلكات الإسبانية من إعتداءات القراصنة[4]، و إكتفوا بالمناطق التي إحتلوها وحصونها وهذا ما كان من أهم أسباب فشل سياستها الإستعمارية .

في عهد الدولة الوطاسية :

كان الوطاسيون يحملون العداء الكبير إتجاه أسبانيا، سبب الإعتداءات الإسبانية ضدهم و لم يستطيعوا ردع الإعتداءات الأجنبية خاصة أنها كانت محدودة النطاق كانت محدودة النطاق فقد كانت تشمل فاس فقط، فمجهوداتهم كانت بسيطة، ومحدودة في الميدان .

---

[1] مارمول كاربخال : المصدر السابق، 259.

[2] نفسه: ص 260.

[3] إبراهيم حركات: **المغرب عبر التاريخ** ، ص 98 .

[4] جون يول وولف : **المرجع السابق** ، ص ص 27 – 26 .

وفي ظّل إتفاقية طور ديسيلاس وموافقة ومباركة البابا على غزو والسواحل الإفريقية باشر الإسبان بإحتلال الأراضي المغربية التي منحت لها في إتفاقية طور ديسيلاس فقامت إسبانيا حاميات عسكرية لمراقبة السواحل المغربية فـإحتلوا المرسى الكبير سنة 1505م، تم حجز باديس بالمغرب الأقصى سنة 1508م[1].

مجمل القول :

ومن خلال ما سبق أستنتج أن الوضع السيّء للمغرب الأقصى، و إستقرار الأوضاع في كل من البرتغال واسبانيا في القرن الخامس عشر/العاشر هجري ، قد جعلها تطمح لاحتلال شواطئ المغربية لتكون بذلك لقمة سائغة في يد الخطر الأجنبي الايبيري، بدءا بالبرتغال التي إستطاعت أن تستولي على الكثير من الثغور المغربية كسبتة 1415م، وطنجة وأصيلا 1471م وغيرها من المدن، من جهة أخرى كان لإسبانيا نصيب من الثغور المغربية وان لم يكن بكثافة الغزو البرتغالي، حيث استولت على كل من تطوان عام 1400م حجربادس وغساسة عام 1509م، مستغلين الوضع الذي آل إليه الوطاسيون، رغم ذلك إلا أنه كان لها دور في مقاومة الغزو الأيبيري مقاومة شديدة، إستنزفت قوتها، وما زاد الأمر تفاقما حيث بدأت معالم فنائها ، ما اضطر بها الأمر إلى اللجوء إلى المهادنة و التعاون، والتي تجلت في الرسائل المتبادلة بين الملوك الوطاسيين والحكام سواءا البرتغاليين أو الإسبانيين، وكانت تصبوا هذه الرسائل التي يوجهها الوطاسيون إلى طلب العون من المسيحيين ضد السعديين الذين كانوا يرونهم أنهم مغتصبون لسلطتهم، إلا أن هذا لم يفلح بحيث بدأت معالم ظهور الأشراف السعديين على الساحة السياسية .

بلغ النشاط التوسعي الإيبيري ذروته مطلع القرن 16م/10هـ، فقد تمكن البرتغاليون والإسبان من الإستلاء على معظم الثغور المغربية، بعد إتفاقية سنترا في سنة (915هـ /1509م)، والتي حددت مجال توسع كل طرف فكانت الشواطئ المغربية المتوسطية من نصيب الإسبان حيث باشروا باحتلال حجربادس كالحد الفاصل بينها وبين البرتغال وهذه الأخيرة كانت لها شواطئ المحيط الأطلسي للمغرب الأقصى، و إثر اشتداد وطأة البرتغاليين على سكان الجنوب المغرب، ظهرت على المسرح السياسي أسرة الأشراف

[1] يحي بوعزيز : **المرجع السابق**، ص 12.

السعديين، ليكون ظهورهم بدرة أمل في نفوس المغارب، خاصة بعد حملهم لواء الجهاد ضد المحتلين و التساؤل المطروح:

إلى أي مدى وصل مد نفوذ البرتغال ؟ وهل حقق الاسبان هدفهم التوسعي في المغرب ؟وهل حقا تمكن الأشراف السعديون من صد و ردع الغزو الإيبيري ؟

الفصل الثاني

النشاط التوسعي الإيبيري في مدن المغرب الأقصى خلال القرن (16م/10هـ)

المبحث الأول:

الحركة التوسعية لدول شبه الجزيرة الايبيرية بداية القرن 16م/10هـ.

1 - الهجمات البرتغالية على مدن المغرب.

2 - ردود الفعل المغربية على العدوان البرتغالي.

المبحث الثاني:

معركة وادي المخازن 986هـ/1579م.

1 - أسباسها.

2 - مجرياتها.

3 - نتائجها.

المبحث الثالث:

الصراع الإسباني للمغرب بداية القرن 16م/10هـ

1 - الهجمات الإسبانية على مدن المغرب.

2 - ردود الفعل المغربية على العدوان الإسباني.

المبحث الاول :الحركة التوسعية البرتغالية على المدن المغربية القرن 16م/10هـ:

- الهجمات البرتغالية على المدن المغربية
- ردود الفعل المغربية على العدوان البرتغالي
- العلاقات السلمية بين المغاربة و البرتغاليين

أولا- الهجمات البرتغالي على مدن المغرب الأقصى :

الغزو البرتغالي لمدينة أما كور (امغور) 1516م:

تقع هذه المدينة بين الجبال الوعرة، بحيث تحيط بها صخرتان عظيمتان، ونهران كبيران فهي محصنة تحصينا طبيعيا[1]، وكان قومها من أوائل من استولى عليهم الشرفاء .

إحتلالها :

تعرضت هذه المدينة لأطماع الحاكم البرتغالي (نونيو فير ناندي أطايدي) بآسفي، وأمر حاكم أزمور (لوبي باريكا) بالغارة عليها ، خاصة في ضل وجود (أحمد الشريف) بها لإنه كان مصدر قلقه، وحمل "لوبي باريكا" نفسه بقوة معتبرة من الجيش، فأرسل إليه الحاكم البرتغالي ابن أخيه (ألفارو ميندس سير قيرا) ، وقام بدعمه مجموعة من الأعراب من بادية موراديس ومائتي فارس، وخمسين من رماة البنادق ، وألفا من الأعراب . وبهذه القوة تمكن باريكا والقائد بوجمعة من الوصول إلى المدينة قبل حلول الليل بساعتين ، وبعد مراقبتهم لها ، وكان الشريف قد عزم على حمايتها، وخرج بعض الفرسان من المغاربة لمحاربة جنود بوجمعة الذي كاد أن يلحقوا به هزيمة، لولا تدخل (لوبي باريكا) في آخر لحظة وإنقاذهم فانسحب الجنود المغاربة ، وظل البرتغاليون ينهبون المدينة ثلاثة أيام .

نتائجها :

تمكن الشريف من الفرار بعد أن انهزم مائتي رجل تصدوا للمسيحيين وقتل جل سكانها، منهم من سقط من أسوار المدينة حوالي ثمانمائة شخص من شدة الإضطراب وأسر المسيحيون، أربعمائة شخص وقاموا بتخريب المدينة وانسحبوا منها إلى آسفي و آزمور بعد ان أخذوا منها طبول العرب ومائة وثمانون فرسا مسرجون ملجما

[1] مار مول كار بخال : المصدر السابق، ص 202 .

وأثاث كبير بينما تمكن حلفائهم المغاربة من نهب خيراتها من القمح والشعير والسمن والعسل والماشية[1]

وهكذا تم العثور على جثث أهالي المدينة في أماكن متفرقة من حيث أطفال ونساء ومن بقي لجئوا الى الجبال [2]، في أوائل القرن الخامس عشر، كان الأسبان مقسما، و لم تحقق وحدتها ألا بعد زواج فرديناند صاحب ارجونه (1516/1467م)من ايزابيلا صاحبة قشتالة(1504/1474)، ثم أشرفنا على إسقاط غرناطة عام 1492م، وطرد المسلمين منها لتكون آخر معقل للمسلمين بالأندلس وتمكن (كريستوف كولمبس) من الوصول الى إحدى جزر البهاما، وأطلق عليها اسم (سان سلفادور) (san silvador) ثم تم عقد معاهدة تور دسيلاس(tords silas) في يونيه 1419م التي أبرمها البابا ألكسندر السادس حل المشكلات التي كادت أن تؤدي إلى الإصطدام بين الأسبان والبرتغال، وأطلقت إسبانيا حروبها الصليبية ضد المسلمين في شمال إفريقيا في المناطق الواقعة شر حجر بادس، بينما غربية فهي مناطق نفوذ للبرتغال، وبدؤوا بوضع أيديهم على جزر كناريا عام 1476م، ومنها راقبوا نشاط الموانئ الغربية في (افني) واكادير وغيرها، وكما عملت (جوانا) ع لى وصية أمها إزابيلا وزوجها فيليب في مواصلة الحملة الصليبية على شمال إفريقيا وكان من المتحمسين لذلك هو الكاردينال (زيمينيس)، فبدأ بالإغارة على السواحل المغربية .

إحتلال آسفي:

تعود أسباب إحتلال مدينة آسفي إلى حملة من الأسباب منها :

ضعف بني وطاس ورؤساء القبائل .

ويقول عنها الحسن الوزان :" أنها تجارة هامة، فقد كان لها دور تجاري، في غرب أفريقيا وشمالها الغربي في نهاية القرن 15م/9هـ، كما أنها مرسى مراكش ونافذتها"[3] .

الفتن والاضطرابات داخل مدينة آسفي، كالفتنة التي وقعت بين الحاكم "عبد الرحمان" من آل فرعون برجال من أتباع بن وشين الذي أعلن عصيانه له، بعد رفض عبد الرحمان علاقته من إبنته رغم غضب عبد الرحمان إلا أنه لم يحرك ساكنا لكن زوجته لم تطمئن لبطش

[1] ديڤو دي طوربيس : المرجع السابق, ص ص40-39.

[2] مارمول كاربخال : المصدر السابق , ص23.

[3] شوقي عطاالله الجمل : المرجع السابق، ص 51.

زوجها على "إبن و شرين" فحذرته من بطشه وفر بن وثين وأصر على قتله، وفعلا قتله رجلان من عصابته أثناء قيامه بالصلاة وخفف الرجلان من هول الناس، وتصدر الحكم، في ضل هذه الأحداث كان التجار البرتغاليون الذين يترددون على المدينة يتحسسون ويتعقبون الأحداث التي تجري، في إنتظار الفرصة الساخنة للاستيلاء عليها[1].

تأييد بعض شيوخ القبائل لهم مثل "يحي ابن تعفوفت" (807/1518هـ) ، إثر السماح لهؤلاء التجار بإقامة دار لحفظ بضائعهم من النهب، ومأوى للتجار، فحصنوا الدار، وبنوا بها قصبة مربعة الشكل على كل مربع برج ، وفي وسطها دور خزائن للتجار، ولكن في واقعها كانت قلعة حربية ، وفتحوا لها بابا على البحر، كانوا من خلاله يتزلون أسلحتهم من الصناديق[2] يوهمون الناس بأنها عبارة عن سلع فكانت في حقيقتها أسلحة مخبأة في براميل الزيت، أما حزمات البضائع فكانت بناديق [3]، وبعدأن ثبتوا أنفسهم بدأوا يزرعون الفتن في أوساط المدينة[4] ، ما أثار حفيظة واستياء المغاربة من هؤلاء التجار ، فقاموا بحصارهم، لكن هؤلاء التجار أخرجوا أسلحتهم المخبأة وأغاروا ببنادقهم على المغاربة واستمروا بحصارها في الوقت الذي أعتلى فيه الملك عمانوئيل الأول عرش البرتغال، والذي وضع كل تركيزه للسيطرة على آسفي وفعلا فبعد حصار المغاربة للتجار أرسل الملك حملة من لشونة عام (24 ديسمبر 1507م) دعما للتجار ويصل الأسطول حوالي خمسة آلاف من الجنود والمشاة ومائتان من الفرسان، مجهزة بأنواع من الأسلحة، وقطع المدفعية الثقيلة[5]، إلا أن هذا الوضع لم يمنع المغاربة من مواصلة قتالهم، فقد زحف إليها بعض المغاربة، ومعهم عدد من المدافع وقاتلو قتالا صعبا ولكن انهزم المسلمون وكانت آخر مرة، ليتم عليها في حدود عشر وتسعمائة المربوطة بوفاة الشيخ "عبد الله محمد بن سليمان الجازولي"، بينما ذكر الإفرنج أن

---

[1] الحسن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص 158 .

[2] شوقي الجمل :المرجع السابق ، ص52 .

[3] Diego de Torres : **Relation de l'origine et Succès de Chérifs** , Paris , 1936, P12.

[4] الحسن الوزان : المصدر السابق ، ص158.

[5] Diego Torres: Optic, P 12.

استيلائهم عليها كان بعد ذلك سنتين أو ثلاث وعمرت آسفي النصارى وإنتقل إليها التجار وبنو بها الدور، و لم يتمكن المسلمون من العودة إليها إلا بعد ثلاث وعشرين سنة[1] .

وتوجت أنظارهم بعد ذلك إلى ميناء أكادير، بعد أن سطوا نفوذهم أيضا على ميناء الصويرة الواقعة على بعد 38 كيلومتر جنوبي آسفي على مصب نهر تانسيفت، وتعتبر ميناء أكادير المنفد إلى حاصلات منطقة سوس ومنتجاتها الوفيرة ، ومرفأ صالح لرسو السفن لهذا عمدوا عام 1447م ، على ربط شيوخ القبائل في المناطق المجاورة (ماسة بالذات)

إحتلال أزمور :

تعتبر من أهم المراكز التي يتخدها الاوربيون لتجارتهم، فمن خلالها يتم التبادل التجاري بينهم وبين المغاربة، وعندما أدرك البرتغاليون أهمية هذه المنطقة من الناحية الجغرافية والإقتصادية، عزم الملك على احتلالها [2]، فأرسل أسطوله مكون من سفن عديدة، بقيادة ابن أخيه دم جيمس و دوق دي براكانس، وبغرق السفن، كانت الحملة قد فشلت [3]، ثم أراد الملك أن يعيد الكرة فأعد لها جيدا ، خاصة اثر المساعدة التي لقيها من مولاي زيدان إبن عم ملك فاس، و الذي كان أسيرا منذ صغره، و تمكن من اعطائه مخططا عن المدينة[4].

إنطلاق الحملة : في يوم 12أوت 1508م/14ربيع الثاني 914هـ، إنطلقت الحملة من لشبونة مكونة من أربعمائة سفينة شراعية ، تحمل على متنها ثمانية ا لالاف رجل و ألفان وخمسمائة من أتباع الدوق، ومائتان و خمسون فارسا مجهزون ومسلحون بأجود الأسلحة وشارك في المعركة حتى الأمراء و نبلاء القصر، حاملين مدفعياتهم و ما يلزم من أجهزة الحرب[5]

و إستقر هذا الاسطول في مرسى فرعون بمملكة فاس، بعد إنطلاقه من نوتردام دي بييليين

---

[1] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : المرجع السابق ، ص 201 –202 .

2 الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق ، ص ص156-158.

[3] ديڤو دي طوريس :المصدر السابق ، ص20.

[4] مارمول كاربخال : المصدر السابق ، 88.

[5] Diego de torres : **relation de lorigine et succes des chèrife**, paris 1636, p17.

و بعد فترة من التريث، إنطلق من جديد يوم 23أوت من نفس السنة و لم يتمكن في الوصول إلى مرسى أزمور [1]، لأنه وفي طريقه واجهتهم الظروف الطبيعية القاسية، أضطر خلالها إلى التوجه إلى مازغين (الجديدة)، وبعد اقامته بها لمدة ثلاث أيام، بادر بقصفها برا الأمر الدي جعل مغاربة ازمور يقبلون عليه لمقاتلته ، ليلتقي الطرفان التي أبدى فيها المغاربة قوتهم و إشتد العراك بين الطرفين تعرضت فيها البرتغال لخسائر كبيرة، حيث تمكن المغاربة من إحراق وإغراق سفنهم وتمكن بعضهم من الفرار.

والعجيب في الأمر أن قوات البرتغال كانت الأقوى الأكثر فلقد كان عدد سفنها 75سفينة وبها أكثر من ألفي رجل، لكن فشل هذا الملك زاد من عزيمته، فبعد سنتين من حملته الأولى، جهز حملته المكونة من مائتي سفينة بقيادة الدوق "ديبرا كانس"، ونزل بها في منطقة البريجة يوم الإثنين 26جمادى الثانية 919ه/29أوت 1513م[2].

وأصيب خلالها ا لمغاربة بالذهل إثر العدد الضخم الذي نزل من السفن وقد كانوا حوالي ألف فارس، وثلاثة عشر ألف رجل، فلاذو بالفرارمن تحصيناتهم، ومن شدة ضخامة عددهم يقال أنه هلك ثمانيين واحدا اختناقا، وذلك من شدة الزحام أثناء دخول المغاربة الى المدينة [3] بالرغم من دفاعهم عن المدبنة فقد قامت ثلاث كتائب بالوقوف على بعد طلقة مدفعمن معسكر البرتغال، بينما تحاشى هؤلاء الاخرين مواجهتهم مكتفيا بطلقات نيران المدفعية على أسوار المدينة [4].

ولجأ المغاربة الى مقاومة الغزوو منعه التوغل في المدينة بأي طريقة، فكانت لهم الخطة التالية حبث قاموا برمي الكثير من الأغصان المختلطة بالتبن ملفوفة في خرق الكتان و القطن المطلية بالقار و رموها في البحر، لتصل الى السفن البرتغالية الراسية قرب أزمور و تمكنو ا من جعلهم يعانون في مقاومة النيران ، من جهة أخرى كان الأسير المغربي مولاي زيدان قد تخلى عنهم اصالح المغاربة، في حين كان دم يوحنا ينتظر ردة فعله ضد المغاربة، أثناء فشله في مواجهتهم، و اكتفى بملاحقة المغاربة الدين ولوا الأدبار الى مدينتهم، لحمايتها من

[1] ديقودي طوريس ، المصدر السابق ، ص20.

[2] دييقو دي طوريس : المصدر السابق ، ص20.

[3] حسن الوزان ، المصدر السابق، ص 158.

[4] ديقو دي طوريس :المرجع السابق، ص22.

التدمير، إذ به يتفاجأ بأن حليفه "مولاي زيدان" قد تخلى عنه ظنا منه أنه موالي له، فتمكن هذا الأخير و معه خمسة عشر ألف، من الحاق الهزيمة بالملك البرتغالي "دم يوحنا "، و لاذ بالفرار ومن معه من الجنود ليلتقي بغضب الطبيعة ، حيث أغرقت سفنه، بينما السفن التي تعثرت في الرمال فانهم قاموا باجراقه، و تمكن الملك من الوصول بسفنه التي بقيت إلى جبل طارق، وأصيلا التي أرسى بها[1].

إلا أن هذا لم يمنع من القيام بعدة محاولات لاحتلال المدينة و فعلا اثر هذا العزم الكبير تمكن البرتغاليون من احتلال المدينة عام 1513م/919هـ.

لتكون بشرى عظمى على البرتغاليين، و أول من إستبشر بهذا النصر هو البابا ليون حيث بعث رسالة بتاريخ 18يناير 1415م قائلا فيها :"...وقد هاجمت جنودنا المدينة، وقد استولوا على أعدائنا، الذين ظلوا يقاومونا طوال اليوم ، قبل أن يرحلوا عن المدينة أثناء الليل من جهة لم يشملها حصارنا، ومن الغد دخل الدرك على مراى ومسمع، من بقى في المدينة التي عثرنا فيها على عدد من الغنائم ، التي كان المغاربة قد سلبوها منا ... و لم يسع مدينة جديدة ولا كذلك موقع تيط ، إلا أن تقدما للطاعة "[2].

إحتلال مدينة بني قفص:

قرر قائد مدينة أزمور "دم يوحنا منيسيس" و" روي دي بريطي"، التوغل في بلاد المغرب الأقصى، القيام بمهاجمة كل من مدينتي تفوت وبني قفيص، وبعد مقاومة شديدة أبداها أهالي المدينة ضد المسيحيين، إلا أنهم تمكنوا من احتلال المدينة، فقتلوا أهلها، وأسروا حوالي ألف وتمكن بعضهم من الفرار، وغرق بعضهم في النهر، ليتمكن البرتغاليين من إحتلال المدينة .

إحتلال تفتنت :

إثر إحتلال مدينة بني قفص، كان في نفس الوقت القائد"دم بيرمودمانويل" ، يقود حملته على مدينة تفوت حتى لا تكون ملجأ لمن تمكنوا من النجاة، وعلى طول الشاطئ قام بتوزيع قواتها، حيث وجدوا عدد من المغاربة يحاولون الفرار من على ضفاف النهر، فتمكن جنود "دم مانويل" من الانقضاض عليهم، بالرغم من مقاومة هؤلاء المغاربة لهم، وعلى اثرها دخل

[1] مارمول كاربخال : المصدر السابق ، ص 89.

[2] عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ص237.

البرتغاليون المدينة و قتلوا كل من بها من المغاربة، وأحرقوها، وتمكنوا من أسر مائتين منهم وكمية من الماشية[1].

إحتلال مدينة أديكيس (أوحديكيس) سنة 1514م:

أحتلت هذه المدينة عام 1514م من طرف "نونيو فيرناندیس" و إثر مغادرة البرتغاليين آسفي تمكن الشرفاء من تعميرها[2].

إحتلال مدينة رتيوت 1514 م:

بعد مجيء "دوم يوحنا مينيسيس" حاكم أزمور، قام البرتغاليون بالإنقضاض على المدينة وتمكنوا من اسر أكثر من خمسين خلال فرارهم، وقام البرتغاليون بحرق المدينة ولكن عمرت من جديد بعد مغادرة البرتغاليين آسفي[3] .

محاولة إحتلال مدينة مراكش :

كانت هذه المدينة خالية وخربة مأوى للحيوانات، وقد تم بنائها و إختطاطها، على حسب قول بعض العلماء التاريخ على يد "أبا بكر ابن إبراهيم بن تورقيت اللمتوني"[4] .

ولقد حكمها أمراء ضعاف أمثال مولاي الناصر بوشنتوف، سبب في انتشار ظاهرة الحروب الأهلية ، مادعى بالملك البرتغالي" دم مانويل" بالإقبال عليها في ظل هذه الظروف التي تعاني منها المدينة .

انطلاق الحملة :

بدأت الحملة بقيادة ""نيو نيو فرناندیس دي أطايدي " حاكم أسفي، بجيش مكون من خمسة عشر ألف فاري من الأعراب، و جماعات اقليمي دكالة و حاحا الذين كانوا تحت إمرة "يحيى بن تعوفت " المو الي للبرتغال، و ثمانمائة فارس برتغالي، وع دد من المشاة

---

[1] دييقو دي طوريس : المصدر السابق ، ص24.

[2] مارمول: المصدر السابق ص 16.

[3] نفسه ص 18.

[4] محمد بن عبد الله بن سعد بن عبد الله بن سعيد الخطيب : **الحلل اللموشية في الأخبار المراكشية** ، د.ت، ص ص 5-6 .

تمكنوا خلالها من احراز انتصارات على المغاربة، وكادوا أن يحتلوها إكتشاف الهند ، الأمر الذي لفت انتباه الملك عن المدينة[1].

إعادة المحاولة : عام 25 أفريل 1515:

بدأ "نيونيو فيرناندیس" بالتأهب لاحتلال المدينة، بمساعدة سيدي ميمون و يحي بن تعفوفت، وحاكم أزمور البرتغالي"دم بيدرو وودي"، الذي طلب منه أن يلتحق به في ملاحات دكالة، وشكلوا باتحادهم عدد ضخم من الجنود فبلغ عددهم ثلاثمائة فارس مسيحي من اسفي و مائتين من ازمور و مائة من رماة البنادق المشاة و ألفين و أربعمائة مغربي .

إنطلاق الحملة :

توجهت هذه الحملة بجيشها الهائل ، إلا أنهم اختلفوا في إختيار مكان إنطلاق الهجوم، ولشدة تخوفهم أرسلوا بعض الحلفاء لإستطلاع الطريق، وقرروا الإنطلاق من مسقا روطان، وعبروا نهر شيشوان، وفي طريقهم أقاموا بالقصبة لترتيب الجيش فكون حاكم أزمور من جيشه قسمين، بينما وقف في ميمنة "نيو نييو فيناندیس "، وسار عبدة وأهل الغربية في المقدمة، ووقف الشراقة في ميسرة المسيحيين[2] .

واصل الجنود المسير في السهول المليئة بالأدغال، وفي مقدمتهم جنود الطليعة مع بعض ضباط المشاة لاستطلاع البلاد، وتمكنوا في الأخير من الدخول من باب فاس لفتح الطريق أمامهم ، ثم اتجهوا نحو مراكش، و اصطفوا كلهم على مسافة نحو مجريين للخيل من باب الفاس واتفقوا أن حاكم أزمور يسهل عليه الاقتراب لقربه، أما الشراقة فكانو الأقرب الى باب دباغين، أما أهل الغربية فالى سيدي بالعباس وعبدة الى باب الرب .

أما المغاربة الشرفاء فكانوا مع أحد نواب ملك فاس، فلما أحسوا بضجة قرب باب فاس تصدوا إليهم بمشقة، وعلى إثرها تعرض "سيدي ميمون" لإصابات، وسقط "لوبي باريكا" وكاد أن يهلك لولا أن أعانه ابن أخيه بيدرو باريكا، و دامت المعركة مدة أربع ساعات قتل و جرح خلالها العديد من الجنود ، قرر خلالها الملك البرتغالي الإنسحاب من

[1] مارمول كاربخال ، المصدر السابق ، ص ص58 -59.

[2] مارمول كاربخال: المصدر السابق ،ص 59.

أحد مجازات وادي تانسيفت الذي كان ضيقا لا يسع إلا لفارسين أو ثلاثة، وتعرض المسيحيون فيه للتنكيل والقتل[1].

لقد كانت ردة فعل المغاربة قوية ، وذلك للعزيمة التي اعترتهم لمواجهة المسيحيين، الذين كانوا يعتبرونهم أقل عددا منهم، فسائهم أن يتمكن الغزاةمن هزمهم ، و لم يبقى الا التابعين لدم فرناندوا، الذين كانوا لا يبعدون عنهم إلا بنصف فرسخ من النهر، فقد واصلوا في هجوماتهم على المغاربة مع بعض المسيحيين، قتل في هذه المواجهة نائب ملك فاس ، وبذلك لم يتمكن البرتغاليون من إحتلال مراكش بالرغم من عزيمتهم و قوتهم و الدعم الذي تلقوه من بعض الخونة، ليحتفظ المغاربة بالمدينة لتبقى شاهدة على انتصارات التي كان المغاربة يحرزونها ضد المحتلين .

إحتلال أنماي :

تبعد هذه المدينة أربعين ميلا عن مراكش [2]، حيث قام البرتغاليون ة بثلاثمائة فارس بمباغتة أهل المدينة، ومهاجمتها بالتحالف مع الأعراب، إلا أن أهلها إستماتوا في الدفاع عنها بكل قوتهم و فعلا تمكنوا من الإنتصار على البرتغاليين في سنة 920ه ....م/.

إحتلال مدينة مرامر :

تعرضت هذه المدينة للاحتلال البرتغالي لما تمتاز به من الثروات فهي غنية بالقمح و الزيت و الماشية ، إضطر أهلها للفرار من بطش المحتلين، ثم عادوا اليها بعد أن تعاهد الحاكم البرتغالي "نونيو فيرناندیس" بضمان أمنهم بها مقابل دفع الإتاوة له[3] .

من خلال التطرق إلى بعض المناطق التي احتلها البرتغال نستنتج أن الغزو البرتغالي قد بلغ أوجه خلال القرن السادس عشر الميلادي /العاشر هجري .

---

[1] نفسه : ص 60.

[2] الحسن بن محمد الوزان : المصدر السابق، ص 153.

[3] مارمول كربخال : المصدر السابق ، ص32.

ثانيا – ردود الفعل المغربية على العدوان البرتغالي في عهد السعديين:

عمليات التحرير :

أثناء ظهور السعديين إلتف حولهم الناس ، لإعتبارهم المخلص الوحيد من الإعتداءات المسيحية التي إستفحلت على الثغور المغربية ، بصفتهم حاملي لواء الجهاد ، فباشروا بصد العدو المسيحي وإسترجاع الثغور التي إستولوا عليها .

تحرير تفتنت :

قاد أبي عبد الله القا ئم بأمر الله ، جماعة من الناس لمواجهة النصارى وإجلائهم عن مسرى تفتنت، وقام بمناوشة النصارى وقتالهم، وفعلا تمكن بعد المعركة من الانتصار عليهم وإجلائهم عام (916هـ/ 1510م) ليتمكن من إعادة شريد الدين إلى وطنه ، وزاد بذلك حب الناس له وإقبالهم عليه وعظموا مكانته ، إلا أن الخلاف بينه وبين بعض رؤساء تدسي حال دون أن يتم جهاده فرجع إلى درعه [1]، وإعتزل الجهاد سنتين من (916-918هـ/1510- 1512م) وأثناء عودته إلى تدسي، دعا إلى مبايعة إبنه الأكبر "احمد الأعرج"، وأما إبنه "محمد الشيخ" فقد بقي يوطد ويوسع نفوذه في السوس، متخذا تارودانت قاعدة له ، بعد أن دخلت في طاعته[2].

تحرير حاحة وتدنيست (962هـ/1514م) :

بعد مبايعة "احمد الأعرج"، وحسنت سيرته، وتوجه إليه أشياخ حاحة و الشياظمة وشكوا إليه أمر العدو والكافر في بلادهم ، وشدة شوكته عليهم ، فإنتقل إليهم ، وخرجوا ووالده وولي العهد إلى مكان يقال له أفغل من بلاد حاحة وترك ولده الأخر الأصغر أبا عبد الله محمد المهدي يمهد به المملكة ، ويقعد أساس المملكة ويباكر العدو ويراوحه، وقام أبي عبد الله القا ئم بأمرا له بالمكوث بها حيث بنى بها قصرا فاخرا فيه عدة بساتين وبرك جميلة، وتركز فيها كرباط للتصدي المسيحي "نونيو فيرناندي أطايدي" آسفي وآزمور، بمعونة "يحيى بن ثغوفت" وأثناء تواجد الشريف السعدي ، باشر هاذان الملكان بمحاصرة تدنيست تخوفا ومنه ومن ذهاب سمعتهم وهيبتهم فحشد"نونيو فيرديناند"و "يحيى بن ثغفوفت" جيشا مكون من 400 واربعمائة فارس مسيحي

---

[1] محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوقراني النجار المراكشي الوجار : **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي عشر**، تصحيح هوداس، مطبعة انجي 1888م، 16.

[2] عمار بن خروف : المرجع السابق, ص 5.

وثلاثة آلاف فارس مغربي، وثمانمائة من المشاة الاعراب وانطلق الى تدنيست بينما جهزالسعدي جيشه المكون من أربعة آلالاف فارس وخرجوا في انتظار العدو والتقى الجيش المسيحي في طليعتهم يحيى بن تغوفثت على بعد ثمانية عشر فرسخا من اسفي أسفي وأربعة فراسخ من تدنيست، وبدات المعركة وانتهت بانهزام الأشراف واسر المسيحيون والي مائتين اسير، وهلك ثمانمائة رجل أجنبي، ومائة من الشرفاء ، بينما اتجه الشريفان بتازاروت، وتوفي الشريفان ليتمكن المسيحيون في هذه الظروف من دخول تدنست بدون مقاومة [1]، وفي تدمير المدن والقوي الموالية للسعديين بعد أن خربوا وأحرقوا تدنيست [2] ، وإثر وفاته أصبحت مسؤولية الجهاد على عاتق ولديه "محمد الشيخ" و"أحمد الاعرج"، حيث إستمرا على نهج أبيهما الجهادي، ويستمرا في الجهاد ضد النصارى والقضاء عل كل العوائق التي تقف في طريقهما خاصة أعوان النصارى (البرتغاليين) الذين سببا في توغلهم في المناطق الداخلية الغربية ، فتمكن من قتل أحد الرؤوس الكبيرة والذي كان خسارة عظمى على البرتغاليين وهو "يحيى بن تعفوفت" عام (924هـ/1518) وتقلص نفوذ البرتغال في الجنوب، فقام أبو العباس بإضعاف شوكتهم ، فبشر باقتناء الأجياد وتعبئة الجنود الى الثغور واستكثر من شق الغازات على العدو الكافر بتاست و آسفي ، وكان النصارى قد عاثوا في السواحل مفسدين ، وخيموا بشط البحر من كل جهة وناحية فاجلاهم من النواحي وطهر الله من نجاستهم تلك البقاع ، والمناحي، ولما رآى النصارى ما وقع لهم بالسوس والسبي أخلو أزمور ورباط وأصيلا من غير قتال فسارع جماعة من أبطال المسلمين، وفيهم الشيخ " أبو عبد الله بن ساسي" ، والشيخ أبو محمد عبد الله الكوشش، لما إفتدى وعزم على الخروج . ملك أبي العباس بعد إنسحاب النصاري من جميع مناطق السوس، وهرع إليه الناس وقصدوه من كل جهة[3] وبدأت بتحرير الثغور أهمها :

تحرير آسفي : (952هـ / 1545) :

حاول السعديون تحرير آسفي وضمها إلى البلدان المغربية المحررة، وفي هذه الفتر ة، قد تمكن السعديون من قتل بعض العملاء أمثال "يحي إبن تعفوفت" الذي قتل (924 هـ / 1518م)

[1] محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوقراني : المصدر السابق ، ص ص 35 – 36.

[2] عمار بن خروف : المرجع السابق ، ص 72 .

[3] محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوقراني : المصدر السابق ، ص21 .

كما ذكرت أنفا يقال أن البرتغال حزنو حزنا شديد عليه ووصفوه بالبطل المغربي لأنه كان يخدمهم بإخلاص[1] ، لأنه كان السبب في إفشال محاولة "أحمد الاعرج" إسترجاع آسفي[2] ـــ أما المحاولة الثانية التي قام بها السعديون كانت سنة ...ه / 1534م، حيث تمكنوا من حصارها إلا أن الحصار لم يدم طويلا بسبب مطالبة ممثل البرتغال بآسفي (.جاكوب روساليس) في 23سبتمبر عام 1534 ، التفاوض في وضح حد الأوضاع الأقاليم التي تحت حكم البرتغال بحيث لم تعد البرتغال تستطيع الحفاظ عليها لقلة العتاد والسلاح ، ما أحظر إلى ظهور فكرة إجلاء الثغور المغربية .

بعد تحرير اكادير في 12 مارس 1541م أضطر البرتغاليون إلى إخلاء آسفي وآزمور أوائل سنة 947هـ/ 1542 م، وكذلك حرروا مدينة أصيلا أواخر 956ه/1549 م، والقصر الصغير في صف 957هـ /1550م و لم يبقى بيد البرتغاليين سوى طنجة وسبتة في الشمال والجديدة في الجنوب[3].

تحرير أزمور :

إهتز البرتغاليون بأزمور إثر فتح سنتكروز، فقاموا بإجلاء المدينة وحمل النساء والأطفال بسفنهم ونقلهم إلى الجديدة ومازكان التي كانت ما تزال في سيطرتهم في عام 1514م[4]، وبقيت خالية مغربة ذلك ان المغاربة حرروها و لم يعمروها لأن غارات البرتغاليين كانت متواصلة عليها بين الحين والآخر، من المناطق المجاورة لها خاصة مازكان الموجودة تحت سيطرتهم، غلى أن جاء الشيخ أبو محمد عبد الله بن ساسي ومعه شردمة من الناس الفقراء بتعميرها مخافة رجوع العدو إليها ، وفعلا رجعو إليها وقاموا بمباغتة المسلمين وقاموا بأسرهم، وقام المغاربة بافتدائهم فكان فدائهم ألفي ريال ومائتي ريال بالتثنية فيها[5] .

---

[1] ديڤودي طوريس : المصدر السابق ، ص 51 .

[2] أحمد الأصبحي : **تداعيات إحالة في زمن الإنكسار** ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، دار البشر ، عمان 1996 ، ص104.

[3] محمد الفاسي : المرجع السابق ، ص 23.

[4] شوقي عطاالله الجمل : المرجع السابق ، ص69 .

[5] أبو العباس أحمد الناصري : المرجع السابق ، ص20 .

تحرير القصر الصغير (957هـ / 1550) و **أصيلا** : (956هـ /1549م) :

إثر القرار الذي أصدره الملك "جيان الثالث" بإجلاء الثغور المغربية، قامت السفن البرتغالية بإجلاء القصر الصغير من السكان ونقلهم إلى ميناء قادس، تمكن " محمد الشيخ السعدي" من تحريرها في 956هـ /1550م[1] ، و لم يلقى أية مقاومة بسبب الضعف الذي لحق بالحساسية البرتغالية الموجودة بالمدينة ، وكذلك لا يختلف الوضع في أصيلا حيث كان الوضع بها يزداد سوءا ، لتبدأ عملية الإخلاء في نهاية يونية 1549م ، لكن " أبا حسون الوطاسي " يقال أنه طلب من الحاكم البرتغالي أن لا يستغني عن الميناءين القصر الكبير وأصيلا ، وجرت محادثات بين البرتغال والأسبان بمشاركة " أبا حسون"، وكادت البرتغال أن تتنازل عن القصر الصغير وأصيلا للأسباب ، لولا قرار " جيان الثالث" الحاسم بفرضه لهذا الإتفاق وبمواصلة عملية الإجلاء التام في "أبريل 1550م . تعرض خلال هذا القرار "جيان الثالث " للنقد المرير[2] .

تحرير الجديدة : 1562م:

السعديون تقرير ما تبقى من الثغور المغربية المحتلة، فحاول "عبد الله الغالب بالله" عام 1562م أن سيتردها ، وأثناء حصارها لقي مقاومة شديدة من طرف البرتغاليين، رغم بالرغم من تفوق قواته والأسلحة الكثيرة ، ودام حصارها خمسة وثمانين (85) يوما، أضطر السعديون لرفع الحصار عنها[3]، فقد كان الإستيلاء عليها له الأثر البالغ على البلاد المسيحية، وأشاد المؤتمر المسيحي الذي أنعقد بمدينة طرانط [4]، وبذلك حال دون تمكن المغاربة من تحقيق هذا فهم، والمتمثل في إنهاء الوجود البرتغالي في الجنوب، ولكن لم يبقى بيد البرتغاليين سوى هذه المدينة (الجديدة)، وسبتةوطنجة[5].

---

[1] عبد الفتاح مقلد الغنيمي : المرجع السابق ، ج6 ، ص 129.

[2] شوقي عطاالله الجمل : المرجع السابق ، ص 70 .

[3] محمد الفاسي : المرجع السابق ، ص 23 .

[4] Dictionnaire Hachette , édition2010, p 1636لمزيد أنظر: طرانط مدينة إيطالية

[5] محمد الفاسي : المرجع السابق ، ص 23 .

تحرير بولعوان :

أسست هذه المدينة على يد عبد المؤمن، ملك مراكش تقع في الطريق الرابط بين فاس ومراكش.

دارت بقربها معركة بين قائدي ملك فاس وحاكم أزمور .. "يوحلا مينيزيس"، ونتيجة لحساسية موقعا كانت محل تخوف سكانها الذين إضطرو إلى اللجوء إلى جبال تادلا تخلصا من سيطرة البرتغاليين، ولكن بظهور الأشراف اضمحلت سلطة البرتغاليين بها ، وإستمر سكانها في ممارسة نشاطهم الفلاحي والمتمثل في القمح[1].

8. تحرير بني ماكر : وهو جبل يسمى جبل الشمس، يبعد عن آسفي بأربعة فراسخ، كان يقيم به الحاكم المغربي "بوديرة" مع ثلاثمائة فارس لحمايتهم من غارات المسيحيين، الذين إستولوعلى آسفي، وأخضعوهم للتعبئة، وإثر مجيئ أخو ملك فاس، إنحاز إليه بعضهم والباقون إنحازو إلى البرتغاليين حتى لا يتركوا متعتهم ، بل أغارو على المغاربة .

قام الشريف "أحمد الأعرج" ملك مراكش وأرسل حاكما يحميها، وخضعت لبيعته بعد إخلاء آسفي من البرتغاليين[2].

تحرير مازاكان (البريجة) : (964هـ -981هـ /1557م- 1574م) :

أمر عبد الله الغالب بالله ولد محمد بقيادة حملة لتحرير مازكان ، وشارك في هذه الحملة قائده على وده، وكانت الحملة مكونة من عدد ضخم وتم حاصرها في ربيع (969هـ/ 1562م)، ورغم قوته إلا أنه لم يحقق النصر، وفك الحصار بسبب مقاومة البرتغاليين لهم وعدد إستسلامهم ويعود ذلك أن الحاكم المغربي تلقى تعويضا من البرتغاليين[3].

تحرير سانتا كروز (948 هـ-1541م):

تمكن عبد الله محمد الشيخ أخ العباس الأعرج السعدي و حاكم إقليم سوس من إقامة قاعدة عسكرية على بعد اثني عشر كيلومترا من سانتا كروز و هو حصن للبرتغاليين

---

[1] مارمول كاربخال : المصدر السابق، ص 103 .

[2] مارمول كاربخال: المصدر السابق ، ص 104 .

[3] عمار بن خروف : المرجع السابق ، 121.

واشتد الحصار على البرتغاليين و قلت المؤن والعدة، و إضطر حاكم الميناء البرتغالي D. Gutarde Manroy إلى طلب يد العون لمواجهة هذا الحصار المفروض عليه من طرف محمد الشيخ السعدي، وبعد أن سقط الميناء في 12 ماس 1541م،كانت النجدة قد وصلت من جزر ماديره و آسفي و هاجر معظم سكانها المدينة، ومنهم من وقع في الأسر في أيدي المغاربة وتم نقلهم إلى تارودانت وكان من ضمنهم الحاكم البرتغالي D. Gutarde Manroy[1]،

وإبنته التي توفيت في الأسر و أطلق سراح الحاكم في 1544م.

إنعكاسات سقوط سانت كروز

كان ضربة قاصمة هدد الوجود البرتغالي في السواحل المغربية و انهيار المخطط الإستعماري.

تحرير أكادير 948ه-1541م:

كما قام السعديون في الدفاع عن الثغور المحتلة بقيادة الحركة الدينية لمقاومة العدو وتخليص المغرب من النفوذ المسيحي، فباشروا في تحرير أكادير بعد قتال عنيف ضد البرتغاليين و تمكنوا من تحريرها في 12 مارس 1541م[2]، على يد محمد الشيخ بعد أن دام حصارها سبعة أشهر و أسر منهم الكثير وكانت أول مركز هام تمكن السعديون من تحريره[3]، وكان أكبر هدف حققه السعديون فقد كان بيد البرتغال مدة 25 سنة أي سنة 1521م / 920هـ[4].

لقد كان ضياع هذا الميناء بالنسبة للبرتغاليين نهاية تواجدهم ما اضطروا إلى التوجه نحو الغرب والتخلي عن كثير من الثغور المغربية.

[1] عمار بن خروف : المرجع السابق، ص 68.

[2] محمد الفاسي : المرجع السابق ، ص23.

[3] عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 75.

[4] أبو العباس أحمد الناصري: المصدر السابق، ص17.

تحرير اكلاكل:

بعد أن إحتل المسيحيون مدينتي تدنست و أمغور، عزم الشرفاء على الثار لهذه الهزيمة فاعدوا العدة و اتجهوا لمحاصرة اكلاكل التي كانت بيد الشيخ بوجمعة أحد حلفاء المسيحيين و قاموا باحتلالها و حضوها و أقاموا بها حامية قوية ثم عادوا إلى شوشاوة مفر غاراتهم.

هزم لوبي باريكا:

عام سبع عشرة وخمسمائة وألف820 ه/1517م توجه لوبي باريكا إلى مدينة "أنكال لحصارها قصد نهبها، ولكن الشرفاء صدوهم و الحقوا بهم الهزيمة و قتلوا منهم العدد الكثير وأسروا منهم، والتحق من نجا بأسفي بعد أن تعرضوا لمخاطر كبيرة و مات في هذه المعركة أكبر إخوة الشرفاء عبد الكبير و عاد الأخوان منتصرين إلى شوشاوة و كان إنتصارا كبيرا آنذاك لهزمهم لوبي باريكا أكبر قائد شجاع في إفريقيا آنذاك[1].

تحرير الكيل: (819 ه/1516م)

تمكن الشريف احمد من صد حملة المسيحيين بقيادة "نونيو فيرناندیس" بمعونة كل من "بوجمعة" و "يحي بن تعفوفت" بعد أن تخوف من العدد الهائل الذي بصحبة الشريف أحمد فعاد أدراجه إلى آسفي بينما ترك الشريف أخاه محمد مع عشرين فارسا بعد أن أمرهم أن ينسحبوا إذا اقترب منهم المسيحيين[2] .

تحرير مدينة بير:

بعد انهزام نونيو فيرناندیس الذي شهده في مدينة أكلاكل قام لوبي باريكا بالهجوم على مدينة بير[3]، لكنه لقي دفاع أهلها المغاربة ما أضطر به الأمر إلى الانسحاب، و عاد إلى آسفي حيث حاكمها البرتغالي "نونيو فيرناندیس".

---

[1] دييكو دي طوريس: المصدر السابق، ص ص42- 43.

[2] مارمول: المصدر السابق، ص13.

[3] بير مدينة صغيرة يسكنها الأعراب و التابعين للشرفاء، للمزيد أنظر مارمول: نفسه، ص13.

السلم الحذر بين السعديين و البرتغال:

بعد أن إستحال على البرتغاليين إقامة علاقات سلمية، ظهر الأشراف السعديين في الجنوب، مما كان فرصة لكسب ودهم، لأن إقامة علاقة سلمية بينهما يستحق الكثير من المصالح، وبدأت معالم هذه العلاقات، منذ ان انضم الزعيم المشائي الناصر بن يوسف إلى أبي العباس الأعرج، بعد غزوة لمدينة مراكش بتاريخ 27 صفر 920ه / 13 أبريل 1515م.

ولقد تمثلت العلاقة في تبادل مجموعة من الرسائل و أولاها،رسالة وجهت للشريف السعدي كانت قبل تاريخ 10سبتمبر 1523م/29 شوال 929ه، حيث بعث حاكم آسفي العسكري "القابطان كون صولوا ميندیس ساكوطو" " Cançalo Mendes Sacoto"، سفارة إلى أبي العباس الأعرج، عن طريق "بير و ماشاو" و أبراهام ابن زاميروا"، و ثم إبرام هدنة بينهما.

ورسالة بتاريخ 24 صفر 932 ه/ 10 ديسمبر 1525م من " الشريف" إلى " جان الثالث" يدعوه فيها إلى إبرام عقد السلام.

رسالة بتاريخ 24 صفر 932 ه/ 17 سبتمبر 1526م، من الوزير " محمد بن احمد" إلى " القابطان كاري بادي ميلوا"، يعلمه فيها بالتمسك بالاتفاقية المبرمة بينه وبين حاكم انسي كون صالوا بتاريخ 3 ذي الحجة 932ه / 10 شتنبر 1526م، بالأمر من احمد الأعرج[1].

رسالة أخرى بتاريخ 24 شتنبر 1526م / ذي الحجة 932 ه، من كارسيكا إلى مولاي " احمد الأعرج"، ردا فيها غلى طلبه بخصوص إتاوات تؤد بها القبائل الخاضعة للبرتقال متجاهلا طلبه قائلا له فيها: " إذا كان الشريف يرغب في السلم معنا فعليه أن يعدل عن مطالبه المثبطةوإلا فان كارسيكا يعتبر الهدنة منتهية".

رسالة بتاريخ 22 ذي الحجة 932ه / 29 شتنبر 1526، أعلن فيها احمد الأعرج عقد هدنة مع جان الثالث.

رسالة بتاريخ 25 ابريل1537م / 15 ذي القعدة 943ه، ثم عقد الريف هدنته لثلاث سنوات بينه و بين قابطان آسفي رودريك و ديك كاسترو " Rodrigo de Castro" وكانت الهدنة تشمل آسفي والجديدة أزمور.

[1] عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ص ص 89-90.

رسالة بتاريخ 14 شتنبر 1540م: قام مولاي محمد الشيخ تجديد العلاقات الودية بينه وبين جان[1]، لهذا كانت العلاقة بين محمد الشيخ السعدي والمملكة البرتغالية، يغلب عليها الطابع السلمي بالرغم من احتلال البرتغال في هذه الفترة معظم الثغور المغربية[2].

العلاقة عبد الله الغالب بالله بالبرتغاليين:

في عمومها كانت تميل العلاقات إلى السلم، باستثناء في محاولته إرجاع البريجة بعد حصار فاشل سنة 929ه/1562م، يقال إنه رفع الحصارلإن البرتغاليون قدموا له هدية ومالا عريضا و كأنهم اشتروها منه[3]، وما إن كادت أن تتوطد العلاقات بينهما، حتى وصل إلى الحكم المتصلب المسيحي سبستيان، فغير مجرى العلاقات بين البلدين لميله للعدائية، خاصة وان البرتغاليين كانوا قد احيوا الكثير من الثغور المغربية، هذا ما دفع السلطان السعدي عبد الله، إلى سحب علاقاته، والإستعداد ضد الهجوم البرتغالي على الثغور المغربية[4].

أما العلاقة بين محمد المتوكل على الله والبرتغال:

توطدت العلاقات بينها والت إلى التعاون بين الطرفين، وهو الطموح الذي كان يصـــبو إليه، خاصة وان الملك البرتغالي سبستيان، كان يطمح هو الآخر في استرداد الأراضي التي كانت سابقا في يد البرتغاليين ومن المعروف أن التعاون بين السلطان السعدي محمد المتوكل وملك البرتغال سبستيان، تتجلى في دعمه لمعركة ضد عمه عبد الملك والتي تعرف بمعركة وادي المخازن سنة 976ه/1578م،والتي سأتحدث عنها بشيء من التفصيل في المبحث الموالي[5].

---

[1] عبد الهادي التازي : المرجع السابق ن ص ص94-95.

[2] عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 162.

[3] محمد السيد أبو رحاب: المرجع السابق، ص 79.

[4] عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 91.

[5] محمد السيد أبو رحاب: المرجع السابق، ص 84.

مجمل القول :

تمكن البرتغال في فترة وجيزة من توسيع نطاق نفوذها على حساب الأراضي المغربية فاحتلت العديد من المدن كاسفي، وأزمور، كما أن السعديين لم يخيبوا أمال المغاربة ، من خلال رد الفعل القوي الذي أبداه الأشراف السعديين، بحيث تمكنوا من تحرير العديد من المناطق، ميل السعديين إلى إقامة علاقات سلمية سواءا مع البرتغال أو الاسبان بحيث سارت علاقتها معهم نحو السلم الحذر .

المبحث الثاني معركة وادي المخازن 1012هـ/1578م:

الأسباب:

قامت معركة وادي المخازن أو الملوك الثلاث،على يد البرتغال، ضد المغرب، ويعوذلك لأسباب منها :

- انهيار الأسطول العثماني في ليبانتو 1571م/979هـ
- الصراع على العرش
- الضائقة الاقتصادية للبرتغال
- فقدان البرتغال مستعمراتها في عهد "يوحنا الثالث" 1557م/1521م
- تحالف المتوكل مع البرتغاليين

أسبابها: تعددت الأسباب التي أدت إلى قيام معركة وادي المخازن وأهمها:

إنهيار الأسطول العثماني :

معركة ليبانت في خريف 979 ه/ 1571م التي انهزم فيها العثمانيين، بحيث تمكن الدون خوان النمساوي الابن الغير شرعي لشارل الخامس بأن يقود أسطول يضم أكثر من 200 سفينة ، أما في ليبانت فكان الأمير العثماني الكبير علي باشا "موذن زاداه" الذي يحوز قوات أكثر تفوقا بشكل محسوس وفي 7 أكتوبر 1571 وتعد أكبر معركة بحرية، إنتهت بالدمارالشامل للأسطول العثماني[1]، وقد كان لهذا الانتصار وقعا كبيرا في نفوس المسيحيين، فقد بارك البابا انتصار دون جوان على السفن الإسلامية[2].

الصراع بين محمد المتوكل (المسلوخ) وعمه عبد الملك واحمد المنصور :

الصراع بين أفراد الأسرة السعدية :حيث دخل محمد المتوكل في مناوشات مع عمه عبد الملك وأحمد على تولي الحكم،مما جعل محمد المتوكل يتولى الحكم إلا عاما وتسعة أشهر

[1] روبير مانتران : **تاريخ الدولة العثمانية** ، ترجمة البشير السباعي، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة 1993، ص 223.

[2] محمد فريد بك المحامي: **تاريخ الدولة العلية الغثمانية**، تحقيق إحسان حقي ، ط1، دار النفائس، بيروت1981، ص257 .

فقط[1]، وتدخل إثرها الحاكم العثماني بالجزائر لدعم عبد الملك و أخيه أحمد ضد المتوكل إثر شكوتهما منه، وفعلا زودهما بقوة عسكرية قدرت بخمسة الآلاف من الأتراك وستة الآلاف فارس وألف من الزواويين وثمانمائة من الصبابحية واثنا عشر مدفع[2]، بل واشتد الصراع بينهما فوقعت عدة مواجهات منها: موقعة الزكة في 08 ذي الحجة 983هـ / 9مارس 1576 إنتهت بإنهزام المتوكل لخيانة جند الأندلس له، وموقعة خندق الريحان في ربيع الثاني 984 هـ/ جويلية 1576 أو "وادي شراط" وكان الإنهزام من نصيب المتوكل ورغم قلة جند المنصور،إلا أنه انتصر على أخيه المتوكل

وتكفل الأخوان بدفع تكاليف العملة للأتراك قدرت ب 500.000 مثقال ذهبي، 10000 مثقال ذهبي كل ما زاد يوم عن الحملة[3].

أما قوات المتوكل فكان عددهم أكثر من ثلاثين ألف فارس مغربي، تقابله نفس العدد من المشاة وكان من ضمنهم ثلاث الآلاف من العلوج، إضافة إلى حملة بنادق وهم الأندلسيين الذين خذلهم كل من الغالب بالله وابنه المتوكل في نصرتهم ضد المسيحيين مما كان هؤلاء يجملون البغض والكره إتجاههما[4].

أما البرتغال: إن الوضع في البرتغال لم يكن يختلف كثيرا عما كان في المغرب، فلم تسلم هي الأخرى من الاضطرابات الداخلية ، فقد شهدت في ظل حكم الملكة " كاترينا " زوجة "جان الثالث" من (1557 م / 1559م) أزمة اقتصادية نتيجة إستتراف أموالها في الحروب ضد المغرب والخليج العربي، كما أنتشر التهاون، وإنعدمت المسؤولية وإلتهى الأمراء بالترف والتهريب كتهريب الذهب إلى أسواق ايطاليا وألمانيا، وتعرض سفنها التجارية

---

[1] عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي: **تاريخ السودان**، طبعة هوداس، المكتبة الأمريكية والشرق باريس1981، ص 208 .

2 Fray Diego de Hoedo :**Histoires des rois d'Alger** ,**Traduit H**, **DGrammount**, Alger.1881. P 161

[3] أبو القاسم بن أحمد بن إبراهيم الزياني: **الترجمان العربي عم دول المشرق والمغرب**، ترجمة للفرنسية ، Humberger moyen ونشره Roger Le Tourneau **في مجلة الغرب الاسلامي والمتوسط** ، ان بروفانس ،عدد 23 ،1977م ، ص 43 .

[4] علي محمد الصلابي : **الدولة العثمانية عوامل النهوض واسباب السقوط** ، ط1 ، مؤسسة أقرأ للنشر والتوزيع والترجمة ،2005م ، ص 236 .

للقرصنة خاصة أثناء تجارتها في البرازيل و أسيا، كما ظهرت مشكلة ولاية العرش بعد المكلة " كاترينا" [1].

فراغ خزينتها المالية جراء المصاريف الضخمة التي أنفقتها بسبب تمويتها لا لحروبها في الشرق الأوسط، ومنافسة بريطانيا لها من خلال محاولة الوصول هي الأخرى إلى الشرق لما فيها من ثروات و توابل وذهب وغيرها ، والتي كانت البرتغال تحتكرها لنفسها[2].

كما خسرت البرتغال الكثير من المناطق التي إستولت عليها وفقدت السيطرة عليها كماحدث في المغرب الأقصى، فقد ظهرت الحركة الجهادية التي قادتها الأسرة السعدية تمكنت من خلالها تحرير معظم الثغور المغربية مثل اصلا عام 956 هـ / 1549 م، ومدينة اسفي في 952 هـ / 1945 م[3] .

أسباب المعركة من جانب البرتغال :

في ظل وجود سلطة الأشراف السعديين القوية ، كان من الصعب على البرتغاليين أن يستردوا مراكزهم في المغرب، كما كانوا من قبل بل عملت هذه الدولة على تصفية الوجود الأجنبي من السواحل المغربية، أي بدا البرتغاليون يفقدون السيطرة ، وظهر بشكل واضح في عهد الملك يوحنا الثالث (1521 / 1557 م)[4]، حيث قام هذا الأخير بإجلاء البرتغاليين من المدن المغربية منها أغادير 1541م /948هـ، أسفي 1545م/952هـ أصيلا1549م/ 956هـ، وغيرها مما دفع ب إبنه الدون سيبستيان، بتعويض ما خسره البرتغاليون في عهد أبيه.

فحاول البرتغاليون بكل ما اوتوا من قوة تعويض المناطق التي خسروها في المغرب[5] فظهر الضون سيبستيان الذي كان كله رغبة في الانتقام من المسلمين خاصة المغاربة و قد ترعرع هذا شاب في كنف عائلة ملكية ، حمل البرتغاليون كل آمالهم وطموحهم الذي كانوا

---

[1] يوسف لكروف: **معركة وادي المخازن بين الملوك الثلاثة** ، تعريب وفاء موسى وحسين حيدر ،ط1، منشورات عويدات ، بيروت ، ص 26 .

[2] فالح حنظل : المرجع السابق ، ص 451.

[3] سعيد اعراب : **موقعة وادي المخازن و اندحارالصليبية بالمغرب**، في **م د ح** ، المغرب أوت 1978، عدد8 ص 09.

[4] شوقي عطاالله الجمل : المرجع السابق ، ص 37 .

[5] عيسى الحسن : **الدولة العثمانية عوامل البناء وأسباب الانهيار**، ط1، الأهلية ،عمان ، الاردن، 2009 ص 181.

يصبون إليه على هذا الملك في الانتقام من المسلمين، وكان هو دون وريث العرش من سلالة " اقيز " [1] ،تربى في البلاط الملكي بلشبونة، على يد الأب اليسوعي " لويس غونز الفيس داكمارا Luis Gonzalez De Camara " ، و رافقه كاهنان لتربية ولية العهد وعينوا له كاهن خاص وهو الأب فرنا ندو سيلفا [2]، وسكنت حياة القديسين ، وشهداء الكنيسة عقله وقلبه الذي امتلأ بالبغض والكره الشديدين على الإسلام والمسلمين، وقدحزن كثيرا على فقدانه للأب اليسوعي "لويس غونز الفيس داكمارا" Luis Gonzalez De Camara "، فحاول إعلاء شأنه بين ملوك أوربا، بإعلان حقده على المسلمين، والقيام بعدة حملات على المسلمين خاصة المغرب الأقصى [3] .

الضائقة الاقتصادية المتدهورة في البرتغال :

القرصنة التي تتعرض لها المراكب التجارية البرتغالية، أثناء مرورها للمنابع الأساسية لتجارتها في البرازيل و آسيا.

أزمة العرش التي ظهرت اثر وفاة الملكة كاثرينا[4].

إستتراف الحروب الكثير من مواردها البشرية و المالية[5]

المنافسة البريطانية القوية عليها[6]

تحالف المتوكل مع الملك البرتغالي الضون سيبستيان :

بدأ الضون سيبستيان بتحضير حملة ضد المغرب منذ (985هـ / 1577م) ، ومما زاده إصرارا إستنجاد "محمد المتوكل" بن عبد الله الغالب به، حتى يمكنه من إسترجاع ملكه من عمه عبد الملك الذي حكم عام 1576 م [7].

---

[1] Miguel Deutas : **Les faux dou Sébastien** , **étude sur l'histoire du Portugal chez Augest Puran** , Paris, 1866, T1, P1

[2] Luis Charles: **Les Jésuites dqns les états par parques Alger et Maroc Bastou et college** , librarie , Chas thurnt hill, mass, s,s, Paris, p 08

[3] عيسى الحسن : المرجع السابق ، ص 182 .

[4] يوسف نكروف: المرجع السابق ، ص 26.

[5] شوقي عطاالله الجمل: المرجع السابق، 64.

[6] فالح حنظل : المرجع السابق، 46.

[7] جلول بن قومار: المرجع السابق ،ص 6.

لأنه رأى فيه ما ينافي تصدره للحكم، فقد رأى عبد الملك أحقيته في الحكم من بعد أخيه وأنه أكبر منه سنا، وهذا تمشي عليه العادات والتقاليد، فوقع في خلاف كبير، ورفض المتوكل أن يتخلى عن الحكم، فعمل بكل قوته على إسترداد حكمه، فبينما هو يستنجد بالملك البرتغالي، إستنجد عبد الملك وأخيه أحمد بالسلطان العثماني وأمدهما بالمدد الكثير وانتصر عليه إلا أنه لم يستسلم وقرر معاداته بالإستنجاد بالكفرة ما زاد من عزيم ة الضون سيبستيان الذي تولى عرش البرتغال في عام 1568م/975هـ، عزم سيباستيان على قيادة حملة ضد المغاربة فباشر بتنظيم الجيش، و تحضير العتاد، و قام بحملات متكررة على طنجة ما الأمر بالسلطان عبد الله الغالب باتخاذ الحيطة الأمنية و العسكرية توقعا لتوجه حملاته على أغادير، و في مارس عام 1578م قرر مجددا قيادة حملة وهو يجهز لها، كانت التحذيرات تتوالى عليه من كبار النبلاء و الأعيان، منها التحذيرات التي وصلته من خاله فليب الثاني [1]، فبعث له سفارة الدون " خوان دي سيلبا " " "DonJuan de Silba وسفارة الدونمدينا سيدونيا "Don Médina Sidoune " عام 1578م، لكنه لم يتردد عن قراره، بل زاد إصرار خاصة إثر تنازل "عبد الكريم بن ثودة" ضد المتوكل للبرتغاليين عن أصيلا[2].

فأبحرت السفن البرتغالية في اليوم الرابع والعشرين من جوان 1578 م من لشبونة ونزلت بطنجة في جويلية ، واستقبله بها "محمد المتوكل"، وواصلت الحملة سيرها الى أصيلا في جمادي الأول سنة 986 هـ / 1578 م[3]، وعسكرت القوات البرتغالية بها إلى اليوم الثامن والعشرون من جويلية، بينما عبد الملك قد أتخذ سوق الخميس معسكرا له.

قوات الجيش البرتغالي والجيش المغربي:

أما فيما يخص عدد قوات الجيش البرتغالي: فقد إختلفت الروايات في إعطاء العدد الحقيقي للجيش البرتغالي:

---

[1] فيليب الثاني ولد بمنطقة الوليد في 21 ماي 1527 م أبوه شارل الخامس وأمه إيزابيلا من البرتغال حكم إسبانيا من سنة 1556- 1598 . للمزيد انظر : M wastou : **Phillip roi d'Espagne** , vol1 , mestrdam, p1

[2] عبد الكريم كريم : المرجع السابق ، ص 103 .

[3] نفسه : ص 105 .

فمنهم من يذكر أن جيشهم قد ضم عشرات الألوف من الإسبان، البرتغال، الطليان الألمان مجهزة بكامل الأسلحة محملة في ألف مركب[1].

وفي رواية أخرى تذكر أن عددهم قد قدر ب 125 ألف، ومنهم من يقدر ب 120 ألف، وعدد المقاتلين 180 ألف[2] .

أما المؤرخون الأوربيون فأحصوا عددهم ب اثني عشر ألف (12 ألف)، فالمؤرخ " بيرناردو داكروز Berbardo da cruz " فيحصي عددهم الى خمسة وعشرين ألف مقاتل[3].

موزعة كاللاتي : تسعة آلاف جندي برتغالي(9000)

ثلاثة آ لاف ألماني (3000)

ألفان قشتالي (2000)

أربعة آلاف فارس(4000)

ستماية من العبيد (600)

قوات محمد المتوكل (300)أو (600)

قوات بابا روما(4000) مقاتل 1500فارس[4].

ووزع " هنري دو كاستروا " الجيش البرتغالي على ما يلي :

3000 ثلاثة الآلاف من جيش الأسطول، ألفان من جيش الاحتياط (2000)، أربعة عشر ألف من المشاة (14000)، ألفان فارس (2000) ، أي في المجموع ألف مقاتل (28000) مقاتل، ويدعمهم حوالي مائتين (200) مدفعا، بالإضافة الى (1000) عربجي (فرقة تجر عربات المدافع)[5]، وحشد من الغلمان و الرقيق الرقيق من المغاربة .

---

[1] عيسى الحسن : المرجع السابق ، ص 122.

[2] السلاوي: المرجع السابق ، ج2، ص 270.

[3] M. ferdinand Peninus: **Portugal** , Imprimeur de Institut de France S, D, P 26

[4] عبد الرحمان القباج: **معركة وادي المخازن 1578م//968ه** ، **في مجلة الإحياء** ، المغرب1981، عدد 1، ص244.

[5] Ernest charriére : **Négociqtions de lq France dans levant** , imprimerie impériale, Paris, t3, p 722

وذكر المؤرخ الفرنسي أرنست شريار قائلا:" أن الدون سيبستيان تمكن من حشد حوالي ثمانيين ألف(80000)مقاتل"، أما المصادر العربية ، فقدرت عدد جيش العدو بمائة وعشرين ألف مقاتل(120000)، وكانت قوات المتوكل حوالي ثلاثمائة (300)فارس.

وقد ذكر محمد العربي الفاسي في مرآة المحاسن قائلا "يقال أن جموعهم كانت مائة ألف وعشرين ألف واقل ما قيل فيهم عددهم ثمانون ألف [1]، وقدره محمد الغساني الأندلسي عن زعم النصارى في عدد الجيش قائلا : "...والنصارى يزعمون أن مبلغ الجيش الذي كان مع سيبستيان في خروجه ثمانية عشر ألف، فمن جنس البرتغال اثنا عشر ألف، ومن الانجليز ثلاث الآلاف، أتوه مدة الصلح والمهادنة التي ى كانت بينه وبينهم ومن الاسبانيول ثلاث الآلاف، أمدده بها فليب سكوند....والصحيح ما هو مقرر عند المسلمين من العدد المذكور..."[2].

إما قوات الجيش المغربي :

فقد كانت تجمعهم راية الجهاد ونصرة الدين، التي دعا إليها عبد الملك المعتصم وإلتفو حوله بجيش قوامه 40.000 مجاهد و 34 مدفعا[3]

ويذكر السلاوي في الاستقصا قائلا : " إن جيش المعتصم يتألف من ثلاث آلاف من جند الأندلس (3000) بقيادة الدغالي، و ثلاث آلاف من المشاة وخمسة وعشرون آلاف فارس متطوع ، وعدد كبير من المغامرين[4] .

و ثلاثون مدفعا و بالتالي فالقوات المغربية (33000) مجاهد و هذا ما ذكره المجهول بقوله "...كان عدد المسلمين ستة و ثلاثون ألف و النصارى مثلهم مرتين..."، ويرجع المؤرخون الأوربيون أن التعبئة الدينية التي قام بها عبد الملك السعدي هي سبب تكون هذا الجيش

---

[1] أبو محمد العربي الفهري: **مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن**، تحقيق الشريف محمد حمزة بن علي الكتابي ،منشورات رابطة أبي المحاسن ، د. ت، ص146.

[2] محمد الغساني الأندلسي : **رحلة الوزير في افتكاك الأسير** ، تحقيق نوري الجراح ، ط1 ، دار السويري أبو ظبي 2002 م، ص 77.

[3] عيسى الحسن : المرجع السابق ، ص 182 – 183 .

[4] إبراهيم حركات : **السياسة والمجتمع في العهد السعدي**، دار الرشاد الحديث، الدار البيضاء، المغرب 1985م ، ص 71 .

المغربي، وتفوقه على الجيش البرتغالي في سلاح الفرسان [1]، ولكن كل هذا هو محاولة إخفاء الحقيقة عن الأوربيين (البرتغال) ، فلا يخفى علينا أن الجيش البرتغالي كان أكثر تعدادا وعدة من الجيش المغربي، فهم بهذا يريدون تبرير هزيمتهم المخزية.

من جهة أخرى حاول محمد المتوكل أن يبرر للمغاربة سبب دعمه للملك البرتغالي دون سيبستيان فأرسل رسالة إلى أعيان المغرب وأشرافه، وذوي رأيه يغمض عليهم بها في نكث بيعته ونقضها ومبايعة عمه من غير واجب شرعي.

وكتب رسالته قائلا فيها [2]"...استصرخت من النصارى، حتى عدمت النصر من المسلمين..."، وقد قال العلماء انه يجوز للإنسان ان يستعين على غصبه حقه بكل ما أمكنه، ويهددهم فيها و أبرز و أرعد قائلا وهو يستشهد بقوله تعالى "ف إن لم تفعلوا فادنوا بحرب من الله ورسوله "[3]

وسمي النصارى أهل العدوة و إستنكف من تسميتهم نصارى، فأجابه علماء الإسلام رضوان الله عليهم، برسالة دامغة لجيش أباطيله وافضحه لركب تأويله وكان الرد كالآتي: "...ردوا عليه في البيعة لعمه عبد الملك فهي منهاج الشرع وطريقه، وعلى سبيل الحق وتحقيقه... ولامه العلماء إثر فراره عن مدينة فاس تاركا أهلها مستصرخين به وهم الضعفاء والمساكين ولا دافع عليهم إلا الله تعالى " ومن اصدق من الله قيلا" [4]، وقوله تعالى : "لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون"[5] وذكروا له ى أن الحكم للأكبر ..." وبهذا فقد دل كلامهم على نصرتهم للملك عبد الملك السعدي ، حتى أن الأتراك ساندوه وقاموا بدعمه بأمر من السلطان العثماني " محمد باشا صقلي" مطالبا والي طرابلس بنجدته و لم يتردد هذا الأخير في إرسال جيشه للتصدي للجيوش البرتغالية [6] .

---

[1] M.A. Fillas : **les Pagnes des Maroc en 1860** , Polut Malassiwet et de Broise , Paris1860 , P125.

[2] أبوالعباس احمد بن خالد الناصري : المرجع السابق ، ج2 ، ص 270 – 272.

[3] سورة البقرة : الاية 279 .

[4] سورة النساء : الاية 122 .

[5] سورة النساء : الاية 98.

[6] .A. Fillas : **les Pagnes des Maroc en 1860** , Polut Malassiwet et de Broise , Paris , 1860 , P125

إستدراج الملك البرتغالي إلى عمق المغرب:

ثم بعد ذلك بدأت التجهيزات الأخيرة لكلا الجيشين، فقام الدون سيبستيان بإقامة معسكره بنهر " اللوكس" الذي يقع على يسار وادي المخازن، بينما إتجه عبد الملك الى مدينة القصر الكبير، وأراد أن يستدرج سيبستيان وجنده لإبعاده عن الساحل وأسطوله البحري و مركز إمداده كما أرسل رسائل استفز بها الملك سيبستيان ما أثار غضبه فتقدم مسرعا زاحفا داخل المغرب لتتبع أثر عبد الملك وفعلا في أثناء تتبع سيبستيان إثر عبد الملك مر بقنطرة وادي المخازن وقامت كتيبة الخيل بقيادة أخيه أحمد بهدم القنطرة وبالتالي قطع جيش البرتغال عن قوات أسطوله البحري ، و لم يعد باستطاعته أن يعود فاستقر بالضفة اليسرى لوادي المخازن في يوم الأحد الثالث من أوت 1578م/986ه، وهو الهدف الذي سطره عبد الملك حتى لا يتمكن من التراجع أو الفرار[1]، ولكن المفاجئة أن عبد الملك السعدي أصبح مريضا في (04 أوت 1578) يقال أنه سم دسه له "رضوان العلج" في طعامه[2].

لكن هذا لم يمنعه من قيادة الجيش ودعوته للجهاد والثبات والحفاظ على روح النظام وجزم أن الإسلام لن يقوا إذا انهزموا وردد آيات من القران ، قال تعالى " ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوي عزيز " [3] وقوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا 'ن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم"[4]وقوله تعالى " ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون" [5]، وكان عبد عبد الملك يصارع المرض ويصارع الأعداء، ووصى جيشه بالثبات والجهاد ونبذ الخيانة والغش قائلا" لا يمكن بهاتين الضعنتين أن تؤدي إلا كعواقب وخيمة ، تذكروا أنكم مقدمون على مجاهدة الكفار، فليكن سلوككم وتصرفكم كمسلمين أخلاق ولا تنسوا أنكم

---

[1] مجهول : المصدر السابق ، ص 60 .

[2] عبد الله العمراني : "**معركة القصر الكبير**"، **م د ح** ، المغرب ، نوفمبر1964 ، عدد 1 ، ص 47 .

[3] سورة الحج : الآية 40 .

[4] سورة محمد : الآية 17 .

[5] سورة التوبة: الآية 32 .

سواء كنتم غلبتم أو غلبتم ستفوزون بالجنة التي وعدها النبي صلى الله عليه وسلم أولئك الذين تدافعوا بقوة السلاح عن حوزة الوطن ويدافعون عن شريعة رب العالمين[1].

مجريات المعركة :

إذن إثر حصارجيش سبستيان وهم لايدرون إن الطريق مقطوع عليهم وفي يوم الاثنين (30 جمادي الأول عام 986 هـ الموافق ل 4أوت 1578م) بدأت معركة القصر الكبير أو معركة الملوك الثلاث أو معركة وادي المخازن [2] ، كان الجيش المغربي يتخذ وضعية على شكل الهلال المفتوح[3].

إنطلقت الجيوش البرتغالية وقضت على الجناح الأيسر للمسلمين ليبادر عبد الملك بإطلاق جيشه، وأطلقت الطلقات النارية إيذانا ببداية المعركة، بينما كان عبد الملك في سكرات الموت وهو على يقين بالنصر [4]، واستمرت المعركة ، وزاد اشتدادا وتداخل الجيشان بحيث استحال على احد أن يلوذ بالفرار و مما زاد المعركة حماسا هو أن كل من الطرفين كان يدفعه حماسه الديني ، فكان المغاربة يهتفون لنصرة الدين والبرتغاليين لنصرة المسيحية بدافع الحقد الصليبي الذي كانوا يكنونه اتجاه المغاربة.

ويصف لنا طبيب عبد الملك اليهودي المعركة قائلا " ... أن طلقتين من المدافع ألحقت بالنصارى إضرارا ورد النصارى فقتل بها فرسان ورجل من حاملي علم الملك ، ... وهاجم فرسان المغرب على النصارى المدرعين وعلى اليمين تقدمت بعض الفيالق من النصارى، ومن الشمال، واشتد الصراع حتى اضطر رجال المشاة والفرسان إلى التراجع ... ، وعلى إثرها قام"مولاي أحمد"[5]بحملة قوية على النصارى انزل بهم خسائر فادحة ، و لم و لم يعد باستطاعة النصارى مواصلة القتال فاحتموا بعرباتهم، ومنهم من قتل ومنهم من أسر و لم يبقى منهم إلا عشرون أوخمسة وعشرون من أصل ثلاثين ألف، وبعد أن أدركوا أن الهزيمة قد لحقت بهم لا محالة فر"محمد المتوكل" لما شاهده من هول المنظر و أغرق نفسه

---

[1] عبد الله العمراني :المرجع السابق ، ص 47 .

[2] القشتالي : المصدر السابق، ص 25 .

[3] سعيد اعراب : المرجع السابق، ص 92 .

[4] شوقي أبو خليل : **وادي المخازن** ، ط 4، دار الفكر ، دمشق ، سوريا 1993 م، ص 65 .

[5] محمد بن ثابت : **وثيقتان هامتان عن معركة وادي المخازن** ، **م د ح** ، عدد 8، 1978 م، ص 50 .

ومات ملك البرتغال متاثرا بجرحين أصيب بمهما ..." وقيل أنه مات وبه ثلاث وثلاثين ضربة على رأسه [1].

ويصف أحد الجنود الانجليز المعركة وهو شاهد على المعركة قائلا: ((... في اليوم التالي وكان رابع أغسطس سنة ...ه/1578م، قسم الملك البرتغال جيشه إلى أربعة كراديس عين القائد ضون "دويرطي دي منيس" في قيادة المقدمة، بينما تولى الملك قيادة جيشه بنفسه ، و على الميمنة محمد المتوكل، وعلى الميسرة "دوق فيرو" أما عبد الملك فقد باشر بالترتيبات العسكرية، وبدأ بتوجيه هجومه الأول ضد الفرسان المقاتلة إلا أنها محاولة فاشلة أضطر فيها رجاله للإنسحاب، إلا أنه قذف بفرسانه مرة أخرى و هاجم بشدة جيوش البرتغال، و قتلوا عددا عظيما منهم، حاول البرتغاليون مهاجمة المغاربة ، بعد فقدانهم خيرة رجالهم من قبل ففروا عن زملائهم، مرتاعين هلعين ضاربين في بلاد غريبة عليهم، وهم بين أعدائهم يقاتلونهم ، و قواتهم تفوقهم[2].

وقد وصف القشتالي هول المعركة قائلا " ... ناهيك بيوم اجلى عن ثلاث ملوك موتى ما بين مجندل، وغريق، وفائض النفس خنق الأنف وعن ثمانين ألف من المشركين ما بين قتل او أسر ... "[3]

وبعد أن أدرك البرتغاليون هول المعركة ، ولا محالة للقتال ، وأدركوا ان الهزيمة من نصيبهم لاذوا بالفرار والنجاة بأنفسهم ، وصعقوا من هدم قنطرة الوادي ، ولم يكن لهم خيار إلا القفز فيه وهذا ما فعله ما عرفنا محمد المتوكل، ومن الذين تمكنوا من الفرار، قيل انهم عشرون فقط وقيل خمسة وعشرون وعلى أكثر تقدير مئة من فرسان طنجة المحتلة[4].

ولعظم الخسائر المادية والبشرية يخيل لدى الباحث أن هذه المعركة دامت طويلا، لكنها في الحقيقة لم تستمر طويلا، فمجرياتها لم تتعدى الخمسة ساعات وفي حقيقتها دامت 52 درجة

---

[1] Victoire de Heauchure : **Don Sébastien de Portugal les mystères de la d'Alcaçar battaile** 1578 ,paris 1854 , p 95

[2] محمد بن تاويت :المرجع السابق ، ص55.

[3] عبد العزيز القشتالي : المصدر السابق ص 39 .

[4] Marc André Noblet : **les renégats leur contribution a la construction de l'état marocaine du 16 au 17 siècle** , mémoire université du Québec a monterial , mai 2008 , p53

أي أربعة ساعات[1]، وإثر وفاة محمد المتوكل وملك البرتغال، ضعف الجند والحق بهم الجيش المغربي هزيمة ، بينما أستبشر المغاربة بهذا النصر بالرغم مما خسروه إلا أن هذا النصر يعد صفحة جديدة في تاريخ المغرب، بل وصفحة مشرقة للمغاربة أكسبها مكانة وهيبة في أوساط الدول الخارجية، أذن نعود لنهاية المعركة بحيث تلقى المغاربة خبر وفاة عبد الملك السعدي وشعروا بالحزن و الأسى عليه، ولكن هذا لم يقضي على ثقة الشعب المغربي بنفسه، ومقدرته على القضاء على المطامع الاستعمارية والمخططات التوسعية من القوة الأيبيرية ، ولقد كانت من أهم العوامل هو أن البرتغاليين كانوا يجهلون مدى قوة الجيش المغربي، ومدى إستعداده للمعركة [2].

وبوفاة عبد الملك السعدي،كان أحمد المنصور مستاء، فأمر العوامين بالغوص بالموضع الذي بإزاء القنطرة وإخراج كل من محمد المتوكل والملك البرتغالي سيبستيان وأمر أحمد المنصور بعده بمبايعته (1578- 1603 م) ،بسلخ جلد مولاي محمد وحشوه تينا و إرساله إلى مراكش، فطبق بها ليعينه الناس على تلك الحالة ، ويعتبرون به فمن يومئذ سمي بالمسلوخ ودفن معه من العصاة وسلطان النصارى بموضع معين[3].

وهكذا كانت نهاية هذا الخائن الذي كان سببا في كل ما يحصل للمغرب في عهد السعديين، فقد الهي السعديين على مواصلة الجهاد ضد الغزاة ، ووضع يده مع الأعداء المسيحيين وسهل لهم السيطرة على كثير من الثغور المغربية بدون مقاومة.

نهاية المعركة :

وفاة عبد الملك:

إثر بداية المعركة شعر عبد الملك بتدهور صحته، وما هي إلا لحظات حتى لفظ أنفاسه الأخيرة .

---

[1] Ernest Mercier : **Histoire de l'Afrique septentrional** , Paris, t3, p 124

[2] A. Rebello de Silva : **Invision et occupation du royaum de Portugal en 1580**, Imprimerie revenue malade, paris,1864,t1,p183

[3] المجهول : المصدر السابق ص 64 .

مصرع سيبستيان

إذن المعركة بانتصار المغاربة، بينما تكبد العدو خسائر جسيمة في صفوف البرتغاليين وتم فيها مصرع الملك سيبستيان الذي أضفى عليه المؤرخون صفة البطولة و الشجاعة بعد أن بقى بسبعة أو ثمانية من فرسانه الأشداء ، و زعموا أن الملك قتل تحته ثلاث أحصنة ، و لم يقع قتيلا إلا بعد أن أحاط به حوالي ستون فارس مغربيا ليردوه قتيلا [1] .

غرق محمد المتوكل (المسلوخ)

إثر إنهزام جيش البرتغال، لاذ المتوكل بالفرار، وسقط غريقا في مياه نهر المخازن ، بعد أن رأى حالة الجيش البرتغالي هو ينهار .

عوامل انهزام البرتغال يعود لعدة أسباب منها :

تسرع الملك سيبستيان ، وعدم علمه الدقيق بقوة الجيش المغربي العوامل الطبيعية فشدة حرارة أثرت على قدرات الجيش الصليبي [2]، لإختلاف وعدم الإنسجام في القيادة العسكرية .

عوامل انتصار المغاربة :

الإنتقام لمسلمي الأندلس، جراء المأساة التي عاشوها في شبه الجزيرة الأيبيرية مشاركة خبراء من العثمانيين في المعركة لما عرفوا به في مهارة الرمي بالمدفعية،و الأندلسيين الذين عرفوا بدقة التصويب[3].

نتائج المعركة

إنتهت معركة وادي المخازن، والحزن والأسى يعتري كلا الطرفين ، فالبرتغاليين فقدوا ملكهم المتعصب الذي كانوا يحملون كل أمالهم عليه، وفقد المغارية الملك عبد الملك السعدي وعلموا بوفاته إلا بعد نهاية المعركة إثر شدة مرضه، وملك طامع خائن وهو محمد

---

[1] يوسف نكروف : المرجع السابق، ص93.

[2] حسب شاهد عيان قل : ((...ان النبلاء والاسبان و الفرسان البرتغاليين تركوا خيولهم متعبين أذلاءوما التجئوا الا ليرتاحوا من حر المعركة ...)). أنظر زهر الدين صالح **بموسوعة معارك العرب منذ الفتح العربي حتى 1968م**، ط1، دارالندوة الجديدة ، بيروت ، لبنان 2000 م ، ص818.

[3] محمد علي الصلابي : **صفحات مشرقة من التاريخ الاسلامي** ، دار الفجر للتراث ، القاهرة ، ج2، ص676.

المسلوخ لتضع هذه المعركة نهايتهم دون أن ينال أي منهم ما كان يصبوا إليه وهو ملك عرش المغرب، وهذه المعركة حققت نتائج بعيدة الأثر سياسيا، واجتماعيا واقتصاديا، فقد نقلت المغرب نقلة نوعية في تاريخه الحديث، و إنعكست نتائجها على العلاقات الدولية المجاورة، كمنطقة نفوذ حيوية، بل و إكتسبت من القوة السياسة والعسكرية ، والإقتصادية أهله أن يلعب دورا بارزا مع القوى التي هيمنت على البحر الأبيض المتوسط في القرن السادس عشر[1].

نتائجها على المغرب:

أن إنتصار معركة وادي المخازن للشعب المغربي، كان من الطبيعي أن يؤثر في نفوسهم وأن يستبشروا بهذا النصر العظيم، الذي طالما حلموا به، وارتفعت معنوياتهم، وزادت ثقتهم بمدى القوة التي يمتلكونها، مقدرتهم في مجابهة الأعداء، بل ومنافسة الدول العظمى التي كانت طاغية على المدن المغربية، وبد أ يسود الإستقرار داخل المغرب إثر اهتمام المنصور بشؤون المغرب الداخلية، والاجتماعية، والثقافية واهتمامه بتنظيم الجيش وتطويره[2].

فأصبحت الدول الأوربية تخشى المغرب وانتشر الرعب والخوف في أواسطها خاصة البرتغال إثر فقدانهم ملكهم .

لكن الشيء الملفت للانتباه أثناء مبايعة المنصور بيعته الثانية إثر دخول فأس يوم الخميس العاشر من جمادي الآخر سنة(986 هـ/1578 م)، فرار عمومته ، وأولاد إخوته خوفا من شدته وبطشه، في حين هدا الناس وباشروا في تأدية مهام الحكم[3] .

إثر التخوف الشديد الذي أصاب الدول الأوربية خاصة إثر مبايعة المنصور الذهبي في 30 جمادي الآخر عام 986هـ / 1578 م ، باشروا بإرسال الهدايا والتهاني لكسب وده وبذلك إرتفع نجم الدولة السعدية[4].

نتائجها على البرتغال :

مقتل الملك البرتغالي:

---

[1] جلول بن قومار : المرجع السابق ، ص 84 .

[2] محمد علي عامر ومحمد خير فارس : المرجع السابق ، ص56- 58 .

[3] المجهول : المصدر السابق ، ص 64.

[4] عيسى الحسن : المرجع السابق ، ص 186 – 187 .

على إثر الخسارة الكبيرة التي تكبدت البرتغاليين جراء معركة وادي المخازن نتج عنها مايلي:

فقدان سيبستيان كان كالصاعقة على البرتغاليين، حيث كذبوا موته، إعتبروه أسير عند المغاربة، و تأملوا رجوعه و انتقامه من المسلمين، فقد عم البرتغال بعد المعركة جوا من الكآبة و الحزن و الأسى، والهول مما ألت إليه البرتغال فكان حال المدينة في دلك الوقت بعمه السواد، جراء ما فقدوه من أبطال، حتى أن الأعلام نكست في سائر البلاد، لتكون أقوى ضربة قاصمة على البرتغاليين، بل وحتى على باقي الدول الأوربية.

وقد وصف المؤرخ البرتغالي (لويس ماريه) حجم الكارثة التي وصل إليها البرتغاليين جراء هذه المعركة قائلا ((...وقد كان مخبوءا لنا في المستقبل الإعصار، العصر الذي وصفته، كما وصفه غيري من المؤرخين، لقلت :" هو العصر النحس البالغ من النحوسة الذي إنتهت فيه مدة الصولة و الظفر و النجاح، و إنقضت فيه أيام العناية من البرتغال وانطفأ مصباحهم بين الأجناس، وزال رونقهم ، وذهب النخوة و القوة منهم و خلفها الفشل، وانقطع الرجاء، واضمحل إبان الغنى و الربح، وذلك هو العصر الذي هلك فيه "سيبستيان" في القصر الكبير من بلاد المغرب...))[1] .

الظاهرة السيبستيانية

ومن هول فقدان سيبستيان، أصبح البرتغاليون يتشبهون به، فظهرت شخصيات كان هدفها هو تولي عرش الملك ، من أمثال، "الملك بينا ماكور" سنة 1584م (نسبة للقرية التي يقطن فيها)، حيث استطاع إنتحال شخصية سيبستيان و استمال الكثير من الناس، لكنهم اكتشفوا أمره فحكم عليه بالإعدام يوسف [2] ، و" ماركو توليو كاتيزون" حيث زعم هو اخر بأنه الملك سنة ، و أكتشف أمره لتكون نهايته الشنق سنة 1603م[3] وغيرهم.

[1] شوقي أبو خليل : المرجع السابق، ص71.

[2] يوسف نكزوف: المرجع السابق، 206-207.

[3] Miguel denta: Op.Ci , p344.

عرش البرتغال بعد وفاة الملك :

عمت الخلافات في أوساط البرتغاليين حول تولي الخلافة من بعد سيبستيان، خاصة أنه لم يترك من يرثه و لم يوصي حتى بمن يتولى الحكم من بعده، فلم تجد الأسرة الحاكمة إلا الكاردينال "هنري" HENRI، وكان طاعنا في السن، و مريضا بمرض السل[1].

فقدان البرتغال لاستقلالها :

وعمت الفوضى في عهده لكبر سنه و مرضه، وورث العرش من بعده فيليب الثاني ملك أسبانيا وهذا الأخير الذي بادر بضمها ضمن مستعمرات اسبانيا، ويقال انه استولى عليها بالغصب عام (1580م/988ه)[2]، ثم قام فيليب الثاني الملك الاسباني بإلقاء خطابه بلشبونة يوم 16مارس1581م، وأعلن انضمام عرش البرتغال لاسبانيا [3]، وخطب قائلا للشعب البرتغالي أنه لم يأتي محتلا بل موحدا للدولتين، و أن يتحفظ البرتغال بإستقلاله ، وشهدت بذلك البرتغال صراعات لرفضهم الضم، مثل مقومة الأمير "انطونيو" و القائد "دوق" أوف ياركاترا" ضد الجيش الاسباني، وقام "ماركوس دي سانتاكروز" بمحاصرة لشبونة بحريا و قام باحتلال الموانئ البرتغالية [4]، وهكذا كانت نهاية البرتغاليين، فبعد أن كانت إمبراطورية كبيرة تتوسع فيما وراء المحيطات و البحار، أصبحت لا تستطيع أن تملك أراضيها التي من حقها .

أطماع القوى الخارجية في ممتلكات البرتغال :

وفي ظل هذه الظروف ، سواء التي تعيشها البرتغال، أصبحت مطمح القوى الأوربية الأخرى مثل الهولنديين و الانجليز و الفرنسيين، فحاولت كل منها أن تكسب مستعمرات و مناطق لها نفوذ في البرتغال، و على رأسهم بريطانيا التي حاولت أن تحطم

---

[1] Ferdinand braudal : **la méditerranée et le monde méditerranée a l'époque de phillip** t2 , Armande , colui, paris, 1966, p63.

[2] محمد السيد أبو رحاب : **العمائر الدينية و الجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين**، دراسة أثرية معمارية ط1، دار القاهرة ،مصر2008م ، ص41.

[3] فالح حنظل : المرجع السابق، ص 477.

[4] Robert Ricrad et chantal de laveronne et autres : **sources indites de l'hstoire du maroc** , 1serie dynastie saadienne , Archive et bibliothèque de Portugal ,t6, 1554-1580. Paris, 1953.p123.

كلا من اسبانيا و البرتغال، حتى يتسنى لها إخضاع مستعمراتها لنفوذ التاج البريطاني ،سواء في أمريكا اللاتينية، أو الوجود البرتغالي في فارس

بعدما تحالفت الملكة إليزابيث مع الشاه عباس ألصفوي ، و تم بذلك تصفية الوجود البرتغالي في هذه المنطقة[1] .

مظاهر قوة المنصور بعد معركة وادي المخازن 1578 /1603م:

كان انتصار المغرب في معركة وادي المخازن أثر كبير في رفع هيبة المغرب و ذلك من خلال إسهامات أحمد المنصور الذهبي اثر بيعته بفاس يوم الخميس العاشر من جمادى الاخر من سنة (1578م/986ه)، فأعطى إهتمامه لكل الجوانب سواءا الاقتصادية والسياسية و العسكرية والجوانب الأخرى نذكر:

المجال الاقتصادي:

قفزة نوعية بحيث إزدهرت الزراعة وتطورت صناعة السكر التي لقيت إقبال التجار الأوروبيين عليها وبذلك شهدت التجارة توسعا سواء داخليا وخارجيا ونشطت عدّة مناطق مغربية في هذا المجال منها آزمور،آ سفي، تارودانت وتوات وشيشاون، وغيرها من المناطق [2] وذلك نتيجة توسع المنصورفي بلدان الصحراء، والأموال التي تدفقت عليه من البرتغال لإفتداء الأسرى، فانتعشت الحركة الاقتصادية و اتسعت التجارة وعم الرخاء ، وازدهرت الفنون و الصناعات و شيدت القصور، والمنشات العمرانية [3]، وتمكن من تحقيق الرفاهية الاقتصادية للمغرب بحيث شهد إنتعاش اقتصادي كبير، و رفاهية اجتماعية، إثر توجهه لغزو بلدان الصحراء والتي تحصل عليها من السودان خاصة الذهب .

أمّا في المجال السياسي :

فقد أسس جهاز إداري وسياسي قوي، ضمت حكومته وزارة لهم مكانة عالية وثقافة واسعة أمثال "أبي فارس عبد العزيز القشتالي" و"إبراهيم السفياني"[4]

---

[1] فالح حنظل :المرجع السابق، 534.

[2] ابراهيم حركات :**أحمد المنصور الذهبي كرجل دولة** ، **م د ح** ، المغرب أوت 1978م، عدد8، ص57.

[3] جلول بن قومار : المرجع السابق، ص8.

[4] Brahim harakat: **le makhazen saa dien** , in R.O.N.N ,1973,vol 15-16, P49.

أما في المجال العسكري:

فتّم تشكيل جيش سعدي قوي على يد المنصور الذهبي،ويضم هذا الجيش عناصر من المرتزقة الأتراك والعلوج،ووحدات أندلسية ،وعناصر وطنية من البربر والقبائل العربية.

وقام المنصور بتنظيمه خلال دمج الوحدات الأندلسية والعلوج مع سائر فرق الوحدات الوطنية ،التي تساهم في العمليات الحربية، كلف خير القادة العسكريين لقيادة الجيش أمثال إبراهيم بن محمد السقياني ،وكان من كبار معركة واد المخازن من الجبهة الأمامية كما وضع اهتمامه في صناعة المدافع، وبلغ بذلك الأسطول تطورا كبيرا بعدما قطع الأسطول في عهدي السلطانيين الغالب و عبد الملك المعتصم أربعين قطعة[1].

وبهذه القوة التي حققها المنصور دفع بكل الدول التقرب منه والرغبة في التعاون معه تخوفا في قوته المتنامية، خاصة إثر إشرافه على طرق التجارة الصحراوية أهمها طرق الموصلات البرية بين السودان و المغرب ن وبين إفريقيا الشرقية و مصر من جهة أخرى وقد شجعه على التمادي في فتوحاته ضعف الطريق البحرية المتوسطية[2].

مجمل القول :

و من خلال ما تطرقت إليه في هذا المبحث استنتجت ما يلي:

لقد كانت هذه المعركةمنعطفا كبيرا بحيث لم ينل أي من هؤلاء الملوك حلمه في نيل و تولي العرش و أظهرت هذه المعركة مدى ضعف البرتغاليين الذين كانوا يتباهون بالقوة في حين أدرك المغاربة مدى قوتهم الحقيقية في التصدي ضد المسيحيين، الثقة النفسية و الوحدة هي التي تسببت في إنتصار المغاربة، و ليس العدد والعدة كما إعتقد البرتغاليين كونت هذه المعركة شخصية فذة و قوية و هو أحمد المنصور الذهبي، الذي ساهم في رفع هيبة المغرب ورفع مكانته في الأوساط المحلية الدولية من خلال مشاريعه التنموية، وعلاقاته الخارجية تراجع مكانة بعض الدول الأوربية، خاصة إسبانيا ما دفع بها محاولة كسب ود المنصور تعتبر هذه المعركة من أبر ز ردود الأفعال الحاسمة، والتي أنهى بها السعديون الوجود البرتغالي في المغرب.

---

[1] إبراهيم حركات : **أحمد المنصور الذهبي كرجل دولة**، المرجع السابق، ص 64.

[2] جلول بن قومار : المرجع السابق، ص ص 119 -120.

المبحث الثالث : الحركة التوسعية الاسبانية في مدن المغرب الأقصى .

الهجمات الاسبانية على مدن المغرب خلال القرن 16م/10ه

ردود الفعل المغربية على العدوان الاسباني يعتبر الإسبان أول من بداوا بغزو الشواطئ المغربية ، حيث قاموا بتخريب تطوان عام (803ه/1400م)، لكنها لم تستطع تحقيق وحدتها إلا سنة 1469م، وهذا ما أخرها على غزو مناطق أخرى كثيرة ، فهي لم تستطع الاستيلاء على الكثير من المناطق الساحلية المغربية ، بسبب تأخرها في استكمل وحدتها، لأنها وجدت البرتغاليين قد تمكنوا من أغلب المناطق المغرب الاقصى بحكم أن البرتغال حققوا وحدتهم الوطنية قبلهم بكثير فتداخلت مصالح كل البلدان وكاد أن يقع صراع و صدام بينهما خاصة إثر تنافس البرتغال والاسبان على منطقة (وادي النون على الاطلسي) [1]، فتدخل الأب (ألكسندر السادس) ودعا إلى عقد اتفاقية، ويحدد فيها مناطق نفوذ وتوسع كل منهما وتمثلت في إتفاقية (تور دسيلاس) (07 يونيه 1494) ، فكانت المناطق الشرقية من نصيب إسبانيا، والغربية للبرتغال يفصل بينهما حجر بادس[2]، وقد بارك البابا هذا التوسع قائلا :"إلى أرواح الذين شاركوا بأموالهم و أرواحهم في عمليات الغزو[3] .

أولا الهجمات الاسبانية على مدن المغرب :

إحتلال حجر بادس (914 هـ / 1508 م) :

تقع هذه المنطقة على شاطئ البحر المتوسط، وهي وأقرب الموانئ إلى مدينة فاس وهي تتخمر بين جبلين شاهقين، وكانت من أشد الموانئ التي لقيت أعنف الصراعات المتكررة عليها [4]،توجهت إليها أنظار أمير البحر الكا ثوليكي "بيدري دي نافال" فجهز أسطولة وتوجه إليها والعجيب أن المغاربة لما سمعوا قدومه فرو إلى الجبال ووصل الأمير إليها في سنة (914هـ/1508م) .

---

[1] عمار بن خروف : المرجع السابق ، ص 47 .

[2] شوقي عطا الله الجمل : المرجع السابق ، ص78.

[3] عائشة غطاس : **الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسستها** ، د.ط، منشورات المركز الوطني ، الجزائر2007م،ص13.

[4] عبد الهادي التازي : المرجع السابق، ص 236 .

و مكث الأمير على مقربة منها في منطقة تسمى "بيون دي باديس"، وهي لا تبعد عن المدينة إلا بسبعمائة قدم، وكانت هذه المنطقة على شكل جزيرة فقد كانت تحيط بها مياه البحر من كل الإتجاهات، وقام بتحصينها وبنى في أعلاها برجا من الجير والرمل، وكز فوقه خمسة مدافع ضخمة ، وزود جنوده الثلاثين بكل المعدات الحربية والمؤن ووضع على رأسهم القيادي " فيلا لويوس" ووفر المياه بها بعد أن بنى بها خزان لجمع مياه الأمطار[1].

إحتلال غساسة :

بعد إحتلال الأسبان مدينة مليلة باشروا باحتلال مدينة غساسة،حيث كانت لا تبعد عن مليلة إلا سبعة فراسخ بحرا و فرسخين برا[2] .

أي حوالي 25كلم[3]، وقد كانت تزخر هذه المدينة بالنساط التجاري، وكانت مركز تجمع السفن التجارية ، و لقد توافدت عليها سفن البندقية .

أمر الملكان الكاثولكيان بإرسال حملة على مدينة غساسة بعد احتلال مليلة ، وتم احتلالها بعد أن أدرك أهالي المدينة ، أنه لا مجال لقتالهم ، ويئسوا من نجدتهم التي إنتظروها من ملك فاس ، فلجؤو إليه وإنتشروا في أماكن مختلفة .

أما الدوق فقد قام بتحصين المدينة وبنا بها قصر، وترك فيه حامية تحتكمه إلى سنة ألف وخمسمائة وأربعة وثلاثين (1534م)، ثم حكمها الإسباني "لويس تشابيز"، ومعه أربعين جندي للحماية ، ولكنه أساء إلى ثلاثة من المسيحيين والذين لجأوا بدورهم إلى عامل تزوطه وقتلو الحاكم الإسباني، وسلموا القلعة للمغاربة الذين قتلو كل من وجدوه بالمدينة و لم يتمكن من الفرار إلا جندي واحد إتجه إلى حاكم مليلة وأطلعه على ما أصابهم في غساسة، والذي بدوره أرسل سفينتان شرعيتان مليئة بالجنود [4]، وقام المغاربة بخدع الجنود المسيحيين، حتى أوهموهم أنهم جنود مسيحيين بعد أن لبسو لباس الأسرى أو المقتولين وقامو بقتلهم وأسرهم عن آخرهم، ولكنه لم يبقى في هذه المدينة سوى القصر الذي كان مشيد

---

[1] مارمول : المصدر السابق ، ص ص 231 ، 232 .

[2] نفسه : ص 263.

[3] Renan ernest : **document inédites sur l'hstoire de loccupation espagnole en afrique** , publier par le marchal de macmahon , alger 1875, p 10.

[4] مارمول كربخل : المصدر السابق ، ص 362 -363 .

على الصخرة، وإتخذه المغاربة مكانا للحراسة فقط من غازات المسيحية من مليلة أو من شواطئ إسبانيا نفسها[1].

إحتلال مدينة سلا:

تبعد عن الرباط بأكثر من نصف فرسخ [2]، تعرضت للإحتلال المسيحي على يد ألفونس الخامس ملك قشتالة عام (670هـ /1263م) ، ولكن لم يلبث الأمر حتى قام ملك فاس "يغمراسن بن زيان" بإنجادها، وقام بمفاجئة الإسبانيين وفتحها وقتل أو أسر جل من وحد منهم فيها، أما الباقون فعادوا بسفنهم إلى قشتالة و لم تعد بلد صالحا فهي لم تتحد و لم تزدهر .

إذن إن السقوط المتوالي للمدن المغربية جراء همجية وقساوة الهجمات الإسبانية جعلت بعض المدن المغربية تتخوف لهذا لجأت العديد من المدن إلى إعلان طاعتها والولاء للغزو الإسباني.

ثانيا – ردود فعل المغاربة ضد الغزو الاسباني:

تسليم عبدالله السعدي حجر بادس:

لم يكن المغاربة يدرون أن إستيلاء النصارى على حجر بادس، كان من وراء الملك "عبد الله السعدي" الذي كان يخشى من توسع نفوذ العثمانيين بها سنة 971ه / 1564م خاصة في ظل تداول السفن الجزائرية عليها دون انقطاع، فاستحسن أن يكون بيد الأسبان دون الأتراك، لأنه كان يرى في العثمانيين العدو الأخطر[3]، لتكون بذالك فرصة الاسبانيين في إقامة حامية عسكرية بها من ضمن أكبر الموانئ التي اتخذت لمراقبة السواحل المغربية كمرسى الكبير الذي احتلته عام 1505م، ثم مدينة وهران في 1509م، ومدينتي بجاية وطرابلس في سنة 1510م[4].

---

[1] مارمول كارخال ، المصدر السابق ، ص263 .

[2] نفسه : ص134 – 135.

[3] محمد الصغير بن الحاج الأفراني: المرجع السابق، ص 49 .

[4] يحي بوعزيز: المرجع السابق ، ص 12.

ولقد كان يصبو"عبد الله" من وراء تسليمه حجر بادس إلى تحقيق بعض التقارب بينهما كما فعل والده قبله، وهذا ما تجلى إثر تدخله في تلمسان سنة 668ه / 1560م، في الوقت ذاته تحرك الأسبان وحلفائهم الأوربيين في حملة ضخمة لطرد الأتراك من كل شمال إفريقيا[1].

بعد أن تم دخول النصارى إلى حجر بادس، ونزل المسلمون منها يرى السلطان الفاسد سرا حول أهل بادس منعهم من الدخول، وكتبوا إلى السلطان"عبد الله" يستنجدونه، وهم لا يدرون أنه في إتفاق مع الأسبان، فنودي بالجهاد قصد حركة أهل فاس مع مولاي"محمد بن عبد الله"، فخرجوا إلى واد اللبن، وأمر السلطان ببناء القصبة في تلا، فلم يواصلوا طريقهم و تراجعوا من واد اللبن، وأمر السلطان ببناء القصبة في تلا، من بادس و إرتحل السلطان"مولاي بن عبدا لله" إلى مراكش، وتخلص بذالك من خطر إشراك عن بلاده.

كما كانت بينه وبين النصارى مكاتبات، حتى إنه صاحب فكرة إخراج النصارى الأندلسيين إلى الغرب، ويعمروا هم السواحل، وفي فاس ومراكش، ويكون منهم جيش عظيم، فلما قاموا النصارى عن إذنه واشتغلوا معهم بالقتال أرسلوا رؤسائهم وكبريائهم وذوي بينهم إن يستغيثوا بالمسلمين في الإعانة وتركوا أهل الأندلس متمنعين في جبال غرناطة وهم يقاتلون النصارى وهو لا يبالي بهم[2]، ومنهم من يذكر إن عبدا لله لم يدعم ثورة مسلمي الأندلس بسبب افتقاره للسفن الناقلة التي تأخر في صنعها، وبعد هجرتهم إلى المغرب استغل وجودهم وشكل منهم جيش من الأندلسيين متكون من 1400 جندي، واقتطع لهم ارض من مراكش[3].

أما في عهد مولاي محمد المتوكل على الله فقد تولى بعد وفاة" عبد الله الغالب" ما بين(981-983ه/ 1574-1576م)، وقد بايعه والده بفاس. قان محمد المتوكل إلى مراكش وألقى القبض على أخيه أبي النصر ثم قتله ليحظى بالحكم لوحده [4]، وبقي أعمامه الثلاثة، وكان يتوقع مناوئتهم له فعزم على الخلاص منهم، وفعلا تمكن من قتل عمه عبد المؤمن

[1] عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 121.

[2] مارمول: المصدر السابق، ص 40- 41.

[3] عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 122.

[4] أحمد بن القاضي: المصدر السابق، ج3، ص57.

الذي كان مستقرا في تلمسان[1]، بينما استقر عمه عبد المؤمن واحمد بالجزائر ينتظرون الفرصة السانحة لترع الحكم منه، وما إن حل عام 983ه/1576م، حتى قدم عبد الملك من الجزائر بجملة من الجيش فوقعت غدره من جنده، وقاموا بالالتفاف حول عمه عبد الملك الأكبر[2].

حاول المتوكل ان يتحالف مع الملك الاسباني فليب الثاني، و أن يوطد علاقاته مع سبستيان ملك البرتغال و هذا الأخير كان همه هو إرجاع ماخسره البرتغاليين من الثغور المغربية، فكانت له محاولة عام 982ه / 1574م، ثم محاولته الخيرة في عام 986ه / 1578م والتي أهلكته وأنهت الوجود البرتغالي بالمغرب والتي تمثلت في معركة واد المخازن.

كما كان عبد الملك (983-986ه / 1576-1578م):

يميل إلى التقرب هو الأخر من الأسبان منذ كان لاجئا في الجزائر، وحاول مع فيليب الثاني ان بقيم رسائل، ويوطد علاقاته معه، في ظل مخاوفه من الجزائر والعثمانيين[3].

نستنتج أن العداء الذي كان يكنه السعديين إتجاه العثمانيين قد تسبب في محاولة بعض الحكام المغاربة أن يقيموا علاقات سلمية مع إسبانيا حتى تحميهم من الخطر العثماني ، بل و تجأ بعض الحكام تسليم بعض المناطق المغربية ، أمثال عبد الله السعدي الذي سلمهم منطقة حجر بادس .

ثالثا – العلاقة السلمية الحذرة بين الدولة السعدية و اسبانيا:

بعد أن حال الصراع بين إسبانيا والوطاسيين في إقامة تعيد العلاقات الشبه سلمية فضلت أن تضع يدها مع الأشراف السعديين، فبدأت تتحسن العلاقة نوعا ما، إلى ما يعرف باسم بالسلم الحذروتمثلت في تبادل مجموعة من الرسائل ومن بين أهم الرسائل التي كانت بين الطرفين:

في عهد محمد الشيخ:

رسالة بتاريخ 9 أوت1555م، وهي رسالة كتبها الكونت إلى الأمير فيليب ابن الإمبراطور شارل كان يعلمه بان الشريف بعث رسوله من فاس يدعو إلى التفاوض، وان

[1] عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 122.

[2] أحمد بن القاضي: المصدر السابق، ج3، ص58.

[3] عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 124.

يرسل له العون ومجموعة من المقاتلين لمواجهة الأسطول العثماني، ويرسل 12 ألفا مع المبعوث محمد المهدي الشيخ وتمكن الأسبان بذلك عقد هدنة بتاريخ 9 يوليه1556م، سمحت لها بالتجارة البحرية في مدن المملكة المغربية، وعرقلة هدف الأتراك، خاصة في ظل منعي هؤلاء لضرب إسبانيا عملا بالاتفاقيات العثمانية الفرنسية [1]، وكان هذا الإتفاق بعد سيطرة محمد الشيخ على فاس وبدئه في الإستعداد في مواجهة الدولة الجزائرية الحديثة [2]، ولكن هذا الإتفاق تسبب في قتل محمد الشيخ على يد مجموعة من الأتراك، وحمل رأسه من طوودانت إلى إستانبول.

خلفه **ابنه عبد الله الغالب** الذي سار على نهج خطى والده، وحاول هو الآخر التقرب من الأسبان، فأرسل إليه الكونت"دا الكوديت" الحاكم الأسباني لوهران مجموعة من الرسائل لقيت إقبالا وترحيبا من قبل عبد الله، ومما زاده دفعا بالاتصال بالأسبان هي حصوله من قبل الأسبان على الدعم العسكري الضخم والمشكل من عشرة آلاف جندي من حملة البنادق النارية، وثلاثين ألف فارس، إضافة إلى المدافع حتى يتمكن من الاستيلاء على الجزائر[3].

ومن أشهر الرسائل المتبادلة بين الطرفين هي التي كانت بتاريخ (العشرة الأولى من جمادى الأولى 964هـ-12مارس1557م)، بين عبد الله بن محمد الشيخ و "غوتزلوهير ناندیز" وتضمنت الرسالة سبع شروط: منها:

- الموافقة على سلام بين المغاربة والاسبان لمدة معينة يتفق عليها.
- التعهد بمنع السفن المغربية من مهاجمة القوارب الاسبانية،
- ويمنع الغزاة من التمون في المغرب.
- إطلاق سراح الأسرى المسيحيين على إلا يؤخذ المسلمون الأسرى وغيرها من الشروط[4]

السلم الحذر بين عبد الملك السعدي ومملكة اسبانيا:

سعى هذا الأخير أيضا إلى التقرب من اسبانيا في:

[1] عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ص 133.

[2] مختار حساني: الدولة الزيانية، المرجع السابق، ج1، ص 216.

[3] عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 163.

[4] عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ص 134.

- رسالة مؤرخة في(18اكتوبر1570-جمادى الاولى978) أرسلها عبد الملك إلى فيليب الثاني حررها بالجزائر، يطلب فيها بمساعدته لانتزاع الحكم من أخيه عبد الله الغالب وبعد انتزاع الحكم من أخيه[1].
- أرسل رسالة ثانية في مطلع عام985هـ/1577م، يعرف فيها عبد الملك عن رغبته في عقد اتفاق سلام معه، وحلف دفاعي هجومي ضد الأتراك.
- كانت الرسالة الأولى بتاريخ(10جانفي1577)، والرسالة الثانية في (05فيفري من نفس السنة) لكنه لم يلق أي جواب عنها من قبل فيليب.
- ثم أرسل له رسالة بتاريخ 1577/04/16 حملها إليه السفير الأب مارين، وعرض له فيها:

لا يكون له سفن حربية يمكن ان تلحق أضرارا بالشواطئ الاسبانية و البرتغالية. ينتقم من القراصنة الذين يلحقون الأضرار بها إذا ما إلتجؤوا إلى موانئه وإعادتها بدون مقابل.

لايقدم لأي ملك الدعم ضد اسبانيا ولو كان يطلب من السلطان العثماني، وفي مقابل تعهد له الملك الاسباني بان يقدم له العون.

ولكن يبقى لدى الأسبان الرغبة في طرد عبد الملك الأتراك العثمانيين الذين أبقاهم من الحملة الجزائرية،و كذالك رغبتهم في تسليمه لهم الموانئ المغربية حتى لا تسكن الأتراك من السيطرة عليها، ولتترع الشك في نوايا عبد الملك أرسل فيليب فرانسيسكو زونيجا حتى يتأكد له من أمر عبد الملك الذي أرسل له هو الأخر رسالتين بتاريخ 28 أفريل 29 أفريل

و تم تحديد بعض الشروط بينها الحفاظ على السلام الذي بينهما [2]، لكن رغم ذلك إلا أن الشك كان يصحب العلاقة بين الطرفين، بالرغم من ان عبد الملك قد وافق على معظم شروط فيليب، لما كان له رغبة جامعة في جعل العلاقة ودية بينهما، لكنه لم يستطيع كسب ثقة الاسبانيين و لا البرتغاليين، مما جعل هؤلاء يهجمون عليه في معركة واد المخازن[3]، ودعم محمد المتوكل على الله لهم في هذه المعركة.

---

[1] نفسه : ص 136.

[2] عمار بن خروف: العلاقات... ، ص 199.

[3] نفسه: ص 207.

علاقة محمد المتوكل على الله(981 / 983ه – 1574–1576م)

إثر خلعه من الحكم سنة 981ه/1573م، إتجه المتوكل إلى بادس، ومنها طلبا لمساعدة فيليب الثاني له فبعث حاكم جزيرة بادس "القابطان خوان دي مولينا "(Juan Molina).

- وفي رسالة له مؤرخة بتاريخ 12رمضان985هـ الموافق ل 23نوفمبر1577م، أرسلها المير المخلوع إلى فيليب الثاني، يعلمه فيها بما كان للملوك الأسبان من مواقف نجدة لمولاي محمد، وهو ما يزال وليا لعهد والده السلطان عبد الله الغالب.

وحاول ان يلفت انتباه فيليب له فتذكر حالة الضعف التي وصل إليها جراء خلعه من الحكم على يد مولاي عبد الملك، قائلا أن المغاربة يكرهون عبد الملك[1]، وختم حديثه بأنه قرر ان يبعث بولده مولاي الشيخ إلى البلاط الاسباني... "، وبعد عدّة رسائل وجهها المتوكل لكسب ثقة وود فيليب الثاني، إلا ان هذا تخلى عنه للإقتراب بحكم عبد الملك، وهذا ما جعله يتجه نحو الملك البرتغالي سبستيان[2] .

مجمل القول :

بلغ النشاط التوسعي الإيبيري خلال النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي/ العاشر هجري ذروته فقد تمكن البرتغاليون و الإسبان من الإستيلاء على معظم الثغور المغربية بعد اتفاقية سنترا في 1509م التي حددت مجال توسع كل طرف فتمكن البرتغال من إحتلال مازكان عام 1502م، أغادير عام 1505 و موكادور عام 1506م، في حين سارع الاسبان في أخد نصيبهم الذي منح لهم من الإتفاقية، و ركزت على غزوا الشواطئ المغربية المتوسطية بدءا بحجر بادس عام 1504م، وفي ظل هذه الظروف كان السعديون قد بلغوا أوج قوتهم و التي مكنتهم من إسترجاع الكثير من المدن المغربية التي إستولى عليها الغزو الإيبيري كأسفي و أزمور.

[1] عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ص 137.

[2] نفسه: ص140.

خاتمة

ومن خلال دراسة موضوع :الغزو الإيبيري للمغرب الأقصى خلال القرن 15م/9هـ و بداية القرن 16م/10هـ ، توصلت إلى جملة من النتائج و الملاحظات :

- تمكن كل من الغزو الإسباني و البرتغالي إبتدءا من القرن 15م/9هـ، من إحتلال أغلب المدن الساحلية المغربية ، وسيطر على أهم موانئه ،بعد تكثيف عمليات القصف.

- يعود نجاح و إستفحال الغزو الأيبيري لسواحل المغرب الأقصى إلى التفكك و الضعف والصراع الذي تميز به خلال القرن 10ه/16م، على الشواطئ المغربية ، سواءا المتوسطية أو الأطلسية ، و على مدنه الساحلية ، بل وحتى الداخلية ، تعود للتدهور الذي شهده المغرب الأقصى في القرن 15م/9ه، و للقوة التي آلت إليها كل من إسبانيا و البرتغال اثر تحقيق كل منهما وحدتها القومية .

- عرف المغرب في عهد حكم الوطاسيين ضعفا بينا ، حيث لم يستطع الأمراء الوطاسيون الدفاع عن المدن المغربية ضد المحتلين ، و فشلهم في تحرير المواقع المغربية ضد الغزو المنهال عليها خاصة من قبل دولة البرتغال و التي كانت تعد من أخطر القوى الصليبية المعادية للإسلام ، لامتلاكها لأقوى و أضخم أسطول بحري حربي ، و الذي إستعملته في بداية إحتلالها لمدينة سبتة سنة 1415م.

-تعتبر العلاقات العدائية بين المغرب و الدولة العثمانية ، و التي تسعى جاهدة لضمر المغرب كان من أهم العوامل التي أبقت على القواعد الاسبانية و البرتغالية على الشواطئ المغربية .

- لقد لعب الأشراف السعديين دورا بارزا في التصدي للغزو الإيبيري ، حيث رفعوا لواء الجهاد ضد الغزاة ، و تمكنهم من تثبيط الكثير من الحملات الصليبية على المغرب الأقصى.

-كما أن معركة وادي المخازن ، تعتبر من أقوى ردود الفعل السعديين في عهد عبد الملك و أحمد المنصور ، على البرتغاليين، في عهد الملك الدون سيبستيان ، لتكون خاتمة لإنهاء الزحف الصليبي على السواحل المغربية.

- الدور المهم الذي لعبه المغرب الأقصى في العلاقات الدولية بعد النصر العظيم ، الذي حققه في وادي المخازن في سنة (803هـ/1578م)، مما جعله مؤثرا في السياسة الدولية في الحوض الغربي للبحر الأبيض ، المتوسط خلال القرن (10هـ/16م).

- أما فيما يخص العلاقات فلم تكن في أغلبها عدائية بل كانت تميل في بعض الأحيان إلى المهادنة ، أو ما يعرف بالسلم الحذر ، سوءا الوطاسيون أو الأشراف السعديون من بعدهم مع المسيحيين .

- لم تحظى إسبانيا بمستعمرات لها في المغرب الأقصى ، في الفترة التي التي أدرسها ، كما حظي البرتغال بها .

- تعتبر معركة وادي المخازن ، فرصة حاسمة لنيل أسبانيا أكبر عدد من المستعمرات .

الملاحـــق

الملحق الأول رقم 01: يوضح أهم المدن التي تعرضت للغزو الإسباني و البرتغالي

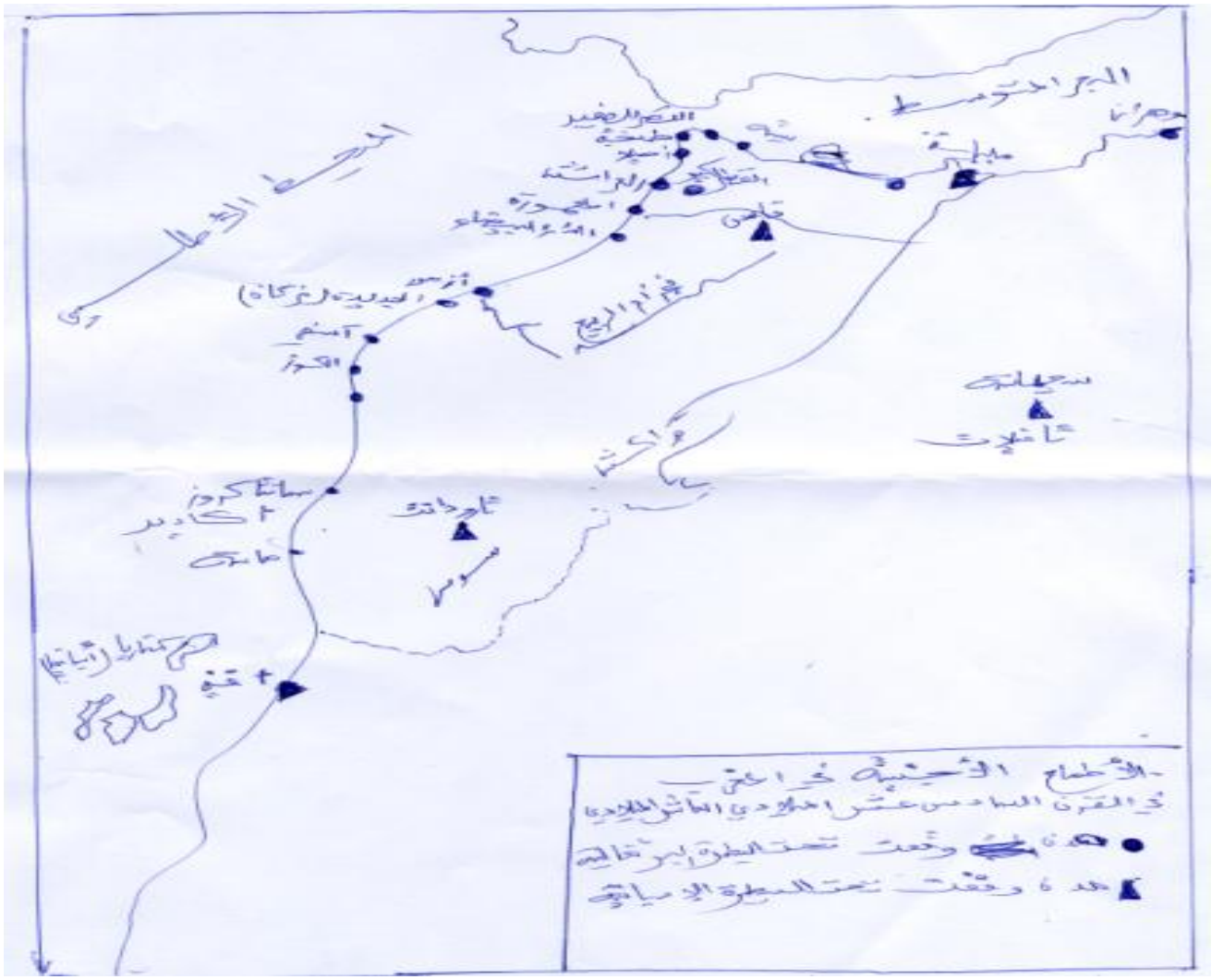

شوقي عطاالله الجمل: المرجع السابق، ص 591.

الملحق الأول رقم 02: يوضح رسم تخطيطي لمعركة وادي المخازن.

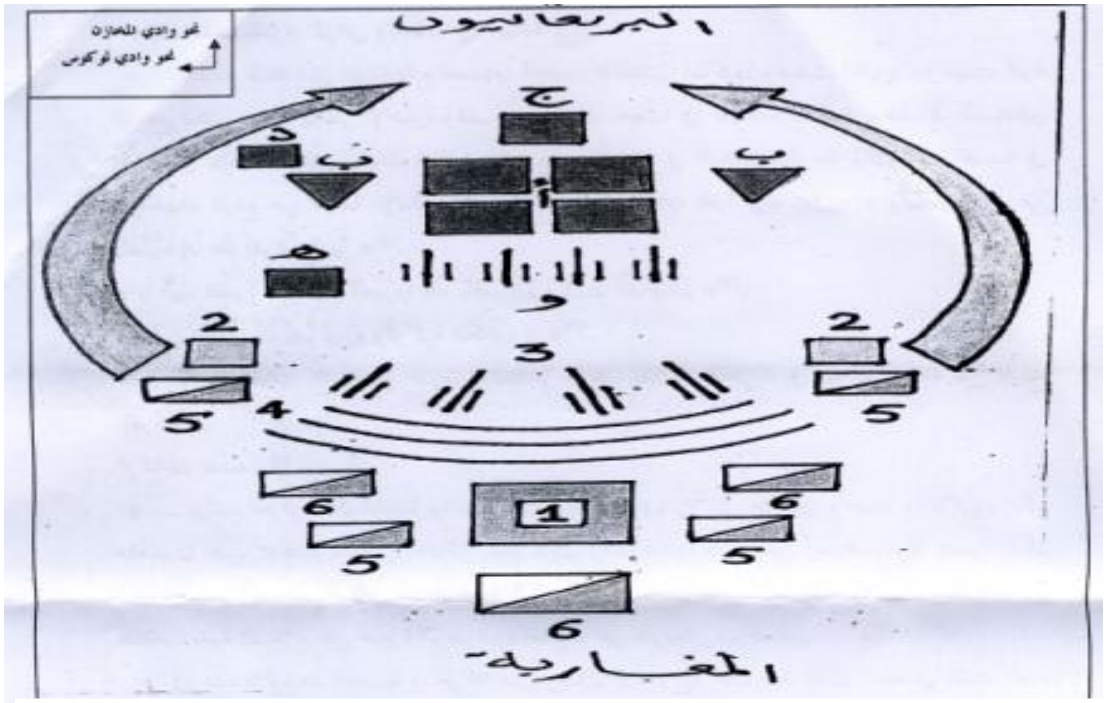

أ– الكتائب الأربعة الرئيسية التي تحيط بملك البرتغال 1 – الرماة المشاة محيطون بالعاهل المغربي عبد والفرسان والرماة [1].
الملك السعدي [2].
ب– الفرسان . 2– الرماة الفرسان .
ج– الخواصة الخلفية . 3– المدفعية .
د– فرقة المتوكل حليف ملك البرتغال . 4– ثلاثة صفوف للرماة المشاة
ه– الفرسان . 5– الفرسان .
و– المدفعية . 6– فرسان الاحتياط .

(1) استعمل عبد الملك السعدي في معركة القصر الكبير خطة، هي الانقضاض على الجيش الصليبي بغلق الفلال على الأجنحة.
(2) أنظر مجلة دعوة الحق المغربية ، عدد 8، 1978 ،ص 28.

نقلاً عن جلول بن قومار: المرجع السابق، ص137.

قائمة المصادر والمراجع

1 -**القران الكريم** : برواية ورش عن نافع.

فهرس المصادر و المراجع:

أولا المصادر العربية :

2 -ابن القاضي أحمد بن محمد المكناسي: **جدوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس** ، دار المنصورة للطباعة و الوراقة ، الرباط 1937م.

3 -ابن القاضي أحمد بن محمد المكناسي: **درة الحجال في أسماء الرجال** ، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، ط1، دار التراث، القاهرة 1970م.

4 -ابن القاضي أحمد بن محمد المكناسي :**لفظ الفرائد من لفاظة حقق الفوائد** ، تحقيق محمد حجي ،ط1،ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 1996.

5 -أبي القاسم محمد الأنصاري : **اختصار عما كان بسبته من سني الأخبار** ، تحقيق عبد الوهاب بن المنصور ،ط2، الرباط 1983م.

6 -السعدي عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران بن عامر : **تاريخ السودان** ، طبعة هوداس، المكتبة الأمريكية و الشرق،باريس1981.

7 -الفشتالي أبو فارس عبد العزيز : **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء** , تحقيق عبد الكريم كريم مطبوعات الأوقاف و الشؤون الإسلامية والثقافة ,الرباط ،د ت .

8 -الفهري أبو حامد محمد العربي : **مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن** ، تحقيق الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني ، منشورات رابطة أبي المحاسن، د.ت.

9 -المجهول : **تاريخ الدولة السعدية التكمدراتية**، تقديم و تحقيق عبد الرحيم بن حادة ،ط1، دار تنميل للطباعة و النشر ، مراكش1994م.

ثانيا- المصادر المعربة :

1. دييقو دي طوريس: **تاريخ الشرفاء**، تعريب محمد حجي و محمد الأخضر ، شركة النشر و التوزيع الدر البيضاء، د ت.

2. كاربخال مارمول لويس : **إفريقيا** ،تعريب محمد حجي و اخرون ،دار النشر للمعرفة ، ج2، الرباط 1989/1988م.

3. الوزان الحسن بن محمد الفاسي : **وصف إفريقيا** ، تعريب محمد حجي و محمد الأخضر،ط2، دار الغرب الإسلامي ، ج1 ، بيروت ، د ت.

3المراجع العربية :

1 أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى** ، تحقيق جعفر الناصري ، 9ج، دار الكتاب ،الدار لبيضاء، المغرب ، 1955م.

2 أبو خليل شوقي : **وادي المخازن** ،ط4، دار الفكر ، دمشق، سوريا، 1993م.

3 أبو علية عبد الفتاح: **الدولة العثمانية و الوطن العربي الكبير** ، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية ، الرياض، 2008م، ص60.

4 أبو قاسم بن أحمدبن ابراهيم الزياني: **الترجمان العربي عن المشرق و المغرب** ، ترجمة للفرنسية Hum berger moyen و نشره tourneau roger ،**في مجلة الغرب الاسلامي و المتوسط** ،ان بروفانس ،عدد23،1977م.

5 الافراني محمد بن الصغير بن الحاج : **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي** ،ترجمة هوداس، باريس 1889م.

6 -بشتاوي عادل سعيد: **الأندلسيون المواركة** ، دار المقطم للنشر والتوزيع،القاهرة 1983م.

7 بلحميسي مولاي : **البحر و العرب في التاريخ و الأدب** ، عاصمة الثقافة العربية، 2007م.

8 بن خروف عمار : **العلاقات السياسية بين الجزائر و المغرب في القرن العشر هجري / السادس** عشر الميلادي ، ط1، دار الامل للنشر و التوزيع ،ج2، الجزائر ، 2006م.

9 بن عيشون أبو عبد الله محمد الشراط: **الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس** ، تحقيق زاهراء النظام ، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، المغرب، 1997م.

10 -التازي عبد الهادي: **التاريخ الدبلوماسي للمغرب**، 10ج، مطابع فضالة، المحمدية ج8، المغرب ،1988م.

11 -التلمساني أحمد بن محمد المقري : **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** تحقيق حسان عباس، دار صادر ، بيروت ،1988م.

12 -توفيق أحمد : **النسب الشريف و السند الصوفي في تاريخ المغرب** ، 2000م.

13 -الجمل شوقي عطا الله وعبد الرزاق عبد الله : **تاريخ المغرب الكبير** ،ط1، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ن 1977م.

14 -الجمل شوقي عطا الله وعبد الرزاق عبد الله: **تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر** ط2، دار الزهراء ، الرياض، 2002م.

15 -حاطوم نور الدين : **تاريخ العصر الوسيط في أوربة** ، ط 2، دار الفكر ، دمشق سورية ، 1993م.

16 -حتاملة محمد عبده: **الاعتداءات (الإفرنجية الصليبية) على ديار العرب في الأندلس و المشرق**، عمان ، الأردن ، 2001م.

17 -حركات إبراهيم : **السياسة و المجتمع في العهد السعدي**، دار الرشاد الحديث ، الدار البيضاء ، المغرب، 1985م.

18 -حركات إبراهيم : **المغرب عبر التاريخ** ، ط 1، دار الرشاد الحديث، ج 2، الدار البيضاء ، المغرب، 1978م.

19 -حمدان جمال:**إستراتيجية الاستعمار و التحرر**: ط1، بيروت، لبنان، 1983م.

20 -حمداني عباس: **دور العثمانيين في اكتشاف أمريكا و الطرد الجديد الى الهند** ، جامعة وكسانسون ميلواني .

21 -حنظل فالح: **العرب و البرتغال في التاريخ** ، ط1، منشورات المجمع الثقافي ، أبو ظبي 1997م.

22 -حومد أسعد : **محنة العرب في الأندلس** ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ،ط 2 بيروت ، 1988م.

23 -داود محمد: **مختصر تاريخ تطوان** ، ط2،المطبعة المهدية ، تطوان ، المغرب ، 1955م.

24 -الدسوقي ناهد إبراهيم : **دراسات في تاريخ أفريقيا الحديث و المعاصر** ، دال المعرفة الجامعية ، سوتير،الإسكندرية، 2008م.

25 -رزوق محمد: **دراسات في تاريخ المغرب** ،ط 1، دار أفريقيا الشرق، دار البيضاء المغرب، 1991م.

26 -الزبيري محمد العربي : **مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث** ، مطابع المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر ، 1975م.

27 -الزياني محمد بن يوسف: **دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران** تحقيق الشيخ المهدي بو عبدلي ، الجزائر.

28 -الشفشاوني محمد بن الحسني : **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تحقيق محمد حجي، ط 2، دار المغرب لتأليف و الترجمة و النشر ، الرباط 1977م.

29 -الشناوي عبد العزيز محمد : **أوربة في مطلع العصور الحديثة** ، مكتبة الأنجلوا المصرية، ط4، القاهرة، مصر ، ج1، 2011م.

30 -الصلابي علي محمد : **الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط** ،ط 1 مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع و الترجمة ، 2005م.

31 -عائشة غطاس :**الدولة الجزائرية الحديثة و مؤ ساستها** ،طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، منشورات المركز الوطني للدراسات، والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، سلسة المشاريع الوطنية للبحث، 2007م.

32 -عبد الله عبد الرزاق إبراهيم : **المسلمون و الاستعمار الأوربي لإفريقيا** ،عالم المعرفة الكويتيونيو 1989م.

33 -العربي إسماعيل : **معجم الفرق و الذاهب الإسلامية** ، ط1، دار الأفاق، المغرب 1993م.

34 -العكيلي صالح حسن: **محاضرات في تاريخ أوربا في عصر النهضة (1453/1789م)** ط1،الوراق للنشر و التوزيع، عمان، 2006م.

35 -عنان محمد بن عبد الله : **نهاية الاندلس و تاريخ العرب المنتصرين** ، مكتبة الخانجي القاهرة ، 1997م.

36 عنان محمد بن عبد الله: **دول الاسلام في الاندلس** ط4، مطبعة الخانجي، مطبعة المدني القاهرة ، مصر، 1997م.

37 عيسى إبراهيم: **الفكر الجغرافي والكشوفات الجغرافية** ، دار المعرفة الجامعية ، الأزاريطة 2000م.

38 الغساني محمد الأندلسي : **رحلة الوزير في افتكاك الأسير** ، تحقيق نوري الجراح، ط 1 دار السويدي، أبو ظبي، 2002م.

39 غلاب عبد الكريم: **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي** ، دار الغرب الاسلامي ط 1 بيروت ، 2005م.

40 الغنيمي عبد الفتاح مقلد: المغرب العربي

41 فرح دعاء: **الحضارات في الذاكرة العالم العربي تاريخ** سياسة وحضارة 2004/2003م.

42 فريد بك محمد المحامي: **تاريخ الدولة العلية العثمانية** ، ط3، مكتبة الآداب، القاهرة مصر، 2009م.

43 فيج جي.دي : **تاريخ غرب أفريقيا** ، ترجمة السيد يوسف نصر، ط 1، دار المعارف النيل، القاهرة ، 1982م.

44 كروزيه موريس : **تاريخ الحضارات العام**، مج3، ط2، بيروت، 1986م.

45 كريم عبد الكريم : **المغرب في عهد الدولة السعدية** ، جامعة محمد الخامس الرباط المغرب، 1978م.

46 كنون عبد الله: **النبوغ المغربي في الأدب العربي** ، 3ج ، ط2، د_ت، ج1.

47 محمد السيد أشرف الصالح: التاريخ الاوربي الحديث،دار واتا للنشر الرقمي، ط 1 2009م.

48 محمود علي عامر و فارس محمد خير: **تاريخ المغرب العربي الحديث** ، منشورات جامعة دمشق، 1999.

49 المقرحي ميلاد أ : **تاريخ أوربا الحديث** (1453_1848م)،ط1،مكتبة الإسكندرية منشورات جامعة بنغازي ،1996م.

50 -المقري أحمد بن محمد: **روضة الأس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش و فاس**، ط2، المطبعة الملكية ، الرباط، 1983م.

51 -ملتران روبير : **تاريخ الدولة العثمانية** ، ترجمة البشير السباعي ، ط 1، دار الفكر للدراسات و التوزيع و النشر، القاهرة، 1993م.

52 -مؤنس حسن : **معالم تاريخ المغرب و الأندلس** ، مكتبة الأسرة للأعمال الفكرية،2004م.

53 -النشار محمد محمود: **تأسيس مملكة البرتغال** ، ط 1، عين للدراسات و البحوث والانسانية و الاجتماعية ،طنطا، 1992م.

54 -نوار عبد العزيز و محمد جمال الدين : **التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة الى الحرب العالمية الأولى** ، ج1، دار الفكر،دمشق، 1999م.

55 -ياغي إسماعيل أحمد : **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث** ، ط1، مكتبة العبيكان ، الرياض، 1996م.

56 -يحي جلال : **المغرب الكبير (العصور ر الحديثة)**، ط1، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ،ج3، بيروت، 1981م.

المراجع المعربة:

1. ألتر عزيز سامح : **الأتراك العثمانيون في شمال أفريقيا** ، تعريب محمود علي عامر ،ط 1، دار النهضة العربية ،بيروت ،1989م.
2. فيشر هربرت: **أصول التاريخ الأوربي الحديث** ، تعريب زينب راشد و اخرون، ط 3، دار المعارف،مصر، 1970م .
3. نكروف يوسف: **معركة وادي المخازن بين الملوك الثلاثة** ، تعريب وفاء موسى و يشو وحسين حيدر،ط1، منشورات عويدات، د،ت، بيروت .
4. وولف جون بول : الجزائر و أوربا(1500م/ 1830م)، ترجمة وتعليق أبو قاسم سعد الله المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

3- المقالات :

مجلة دعوة الحق المغربية :

1 أعراب سعيد : **موقعة وادي المخازن و اندحار الصليبية بالمغرب، م د ح**، وزارة الاوقاف و الشؤون الاسلامية ، المغرب ، عدد8، 1978م.

2 بن تاويت محمد: **وثيقتان هامتان عن معركة وادي المخازن، م د ح** ، 1979م.

3 التازي عبد الهادي : **وقعة وادي المخازن بدون رقابة ، م د ح** ، عدد8، 1978م.

4 السايح حسن :**العلماء وراء معركة وادي المخازن ، م د ح**، عدد8، 1978م.

5 العمراني عبد الله: **معركة القصر الكبير ، م د ح** ،عدد 1 ، المغرب، نوفمبر، 1964.

6 الفاسي محمد : **إحتلال البرتغاليين للثغور المغربية ، م د ح** ، عدد8، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المغرب ، 1978م.

مجلة الإحياء:

1. القباج عبد الرحمان : معركة وادي المخازن (986ه/1578م)، **مجلة الإحياء**، عدد01، المغرب 1981م.

مجلة الدراسات التاريخية :

1 بن خروف عمار : **"ملامح من الحياة الاقتصادية في عهد السعديين "**، **في مجلة الدراسات التاريخية** ، معهد التاريخ ،جامعة الجزائر 1987م،عدد3، ص ص 69-70.

الملك سعود:

1 السوبكت **فهد بن محمد** :**"موقف الأشراف السعديين من مسألة الخلافة "**، **في مجلة جامعة الملك سعود**، كلية الاداب ، الرياض، عدد2006،19م.

- الرسائل الجامعية :

1 -بن قومار جلول : **معركة وادي المخازن و اثرها في العلاقات المغربية مع غرب أوربا** رسالة ماجستير، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية،المركز الجامعي غرداية، 2010 2011م.

2 -الشافعي درويش: **علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع إسبانيا خلال القرن العشر هجري / السادس عشر الميلادي** ، رسالة ماجستير ، المركز الجامعي بغرداية 2011/2010م.

3 -فكاير عبد القادر: **الصراع الجزائري الاسباني في الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال القرن السادس عشر** ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ،2001/2000م.

4 -نبيل عبد الحي رضوان : **جهود العثمانيين لانقاد الأندلس و استرداده في مطلع العصر الحديث** ، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى، السعودية .

5- المراجع الأجنبية:

1- Braudel fernand: **la Mèditerrané et le monde mèditerrané a l'Epoque de philippe2**, T2, Armonde colui, Paris 1966.

2- Braudel fernand: **L'Espagne et l'Afrique du nord 1492–1577**, in R. A, Alger ,1928,t1

3- charière Ernest: **Nègociatoint de la France dans levant**, im primerie imp riale , paris, t3 .

4- Charles louis: **les jèsuites dans Etats barbaresque A lger et maroc** , boston collège, libray , S, D, paris 1866.

5- Dantas Miguel :**les faux don sèbastien ètud de sur l'hstoire de Portugal** , t1, chez auguste purand , Paris 1866.

6- DE Gramout Henri: **Histoire d'Alger sout la domination turque** (**1515–1830**) ,Ernest ,LEron ,Editeur ,Paris ,1887.

7- DeNis . M. ferdinand : **Portugel** , Imprimemé Del'nstitut de France , S . D.

8- Diego fray de Haèdo: **Histoire des rois d' Alger** , traduit H, D grammont, Alger 1881.

9- Fillas.M.A: **l'spagne et le maroc en 1860**, **poulet malassin et proise** , S, D,paris.

10- HEAULME victoire : **DON sèbastien de Portugel ou les mystères de la Bataille d'alkaser1578**, Paris, 185

11- M .WASTON:**PHILIP 2roi d'es pange**,vol1,mesterdam.

12- Mercie Ernest : **Histoire de l'afrique septentrionale** , t3, pari s.

14.Pichot Amèdeè: **charler quinte et librarie Editeur**, Paris, 1854.

15.Rebello da silva.L. A: **Invasion et occupation du royaume de Portugal en 1580**, librairie August durand, t1, Paris 1864.

16.Robert Ricard et chantale de levronne et les autre: **sources in l'histoire du maroc**

17.Serie dynastie: **saadienne** , Ar duve et bibloitheque de Portugal , t6, 1552-1580, Paris , 1953.

18.Torres de Diego: **relation de l'origine et succès de chèrif** , Paris.

الرسائل الجامعية باللغة الأجنبية :

1.Nolle Andrè-Marc :**les renègats**,**leurcontribut a la construction de marocaine de l état marocaine du 16siècle au 17siècle**,Mémoire, Université du que bec a Monte real, Mai 2008.

.

فهرس المحتويات

العنوان **الصفحة**

الإهداء

شكر وتقدير

مقدمة 01

الفصل المدخلي : الأوضاع في المغرب الأقصى وشبه الجزيرة الإيبيرية خلال القرم 9هـ/15م/ 10هـ/16م.

المبحث الأول: الأوضاع في المغرب الأقصى..... 08

1 -المغرب في عهد بني مرين 08

2 -الأشراف السعديين في المغرب الأقصى..... 12

3 -التهديد العثماني على المغرب الأقصى..... 16

4 -نشاط القوى الدينية..... 18

المبحث الثاني: الأوضاع في شبه الجزيرة الإيبيرية..... 20

1 -الأوضاع في إسبانيا..... 20

2 -الأوضاع في البرتغال..... 26

الفصل الأول: الغزو الإيبيري على المغرب الأقصى خلال القرن 9هـ/15م

1 -دوافع الغزو البرتغالي..... 32

2 -السقوط المتوالي للمدن المغربية بيد الغزو البرتغالي..... 34

3 -ردود الفعل المغربية على الحركة التوسعية البرتغالية..... 44

المبحث الثاني: الحركة التوسعية الإسبانية في مدن المغرب الأقصى..... 49

1 -دوافع الغزو الإسباني..... 49

2 -الحملات الإسبانية على المغرب الأقصى..... 53

3 -عمليات التصدي والتحرير المغربية للعدوان الإسباني..... 54

الفصل الثاني: النشاط التوسعي الإيبيري في مدن المغرب الأقصى خلال القرن (16م/10هـ)

المبحث الأول: الحركة التوسعية البرتغالية على المدن المغربية في القرن 10هـ/16م 58

1 -الهجمات البرتغالية على المدن المغربية..... 67

2 – ردود الفعل المغربية على العدوان البرتغالي..... 67
3 – العلاقات السلمية الحذرة بين المغاربة والبرتغاليين..... 76
المبحثالثاني: معركة وادي المخازن 1021هـ/1603م..... 76
1 – أسبابها..... 85
2 – مجرياتها..... 85
3 – نتائجها..... 88
المبحث الثالث: الحركة التوسعية الإسبانية في مدن المغرب الأقصى خلال القرن 10هـ/16م 94
1 – الهجمات الإسبانية على مدن المغرب الأقصى..... 94
2 – ردود فعل المغاربة ضد الغزو الإسبني..... 96
3 – العلاقات السلمية بين الدولة السعدية وإسبانيا..... 98
الخاتمة..... 103
الملاحق..... 106
فهر المصادر والمراجع..... 109
الفهارس..... 116